ثقافات الشعوب

@ketab_n
4.11.2014

@ketab_n

سيدة البحيرة

حكايات شعبية من ويلز

جمع: دبليو جنكن توماس
ترجمة: غسان علم الدين

سيدة البحيرة

حكايات شعبية من ويلز

ketab_n

جمع:
دبليو جنكن توماس

ترجمة:
غسان علم الدين

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

سيدة البحيرة

حكايات شعبية من ويلز

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

سيدة البحيرة: حكايات شعبية من ويلز

© حقوق الطبع محفوظة

هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)
الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

PZ8.J36557.We12 2009
Thomas, W. Tenkyn (William Jenkyn).
[Welsh Fairy - Book]

سيدة البحيرة: حكايات شعبية من ويلز/ جمع وليام جنكن توماس:
ترجمة غسان علم الدين. – ط.1.– أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2009.
175ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
ردمك: 978-9948-01-325-9
ترجمة كتاب: Welsh Fairy - Book
1 – القصص الشعبية الويلزية. 2 – الحكايات الويلزية. أ– Pogany, Willy, 1882 - 1955.
ب– علم الدين، غسان.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التنان

كلمة KALIMA
info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+

ABU DHABI CULTURE & HERITAGE
www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

إن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما تعبّر آراء الكتاب عن مؤلفها.

حقوق الترجمة العربية محفوظة لكلمة

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
تقديم	9
سيدة البحيرة	19
آرثر في الكهف	27
لَعنة بانتاناس	34
غَرقُ «بوتوم هاندرد»	44
زيارة إيليدير إلى أرض الجن	61
لاوري دافيد تكسب محفظة من الذهب	69
استبدال الأطفال في ليانفابون	71
لماذا صار التنين الأحمر رمزاً لويلز؟	81
لين كوم لوتش	87
مغامرات المزارعين الثلاثة	91
كادوالادر وعنزته	94
الزوجة الجنية	97
إينيون وسيدة الغابة الخضراء	103
جُزر المحيط الخضراء	108
أُذُنا مارس	110
قيثارة الجنية	114
غوتوباتش والجنيات	119
مطاردة إيناتو	123
البقرة الشاردة	129

Twitter: @ketab_n

بحيرة بالا 133
البحيرة المحرمة 136
تودور أب إينيون 140
عكازة الجنية 145
نقود «ديك» المخادع 148
كلب الماء العجيب 151
الممرضة الجنية 153
بيرجرين وحوريّة البحر 158
كهفُ شبان سنودونا 162
إينيون وعائلة الجن 164
القديس كولن وملك الجن 169
غار هليغ 172

Twitter: @ketab_n

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها ، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها – مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة – تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في

Twitter: @ketab_n

أقاصي الغرب، أو شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه – وإن بلغة أخرى – جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

Twitter: @ketab_n

تقديم

أُعـدّ هذا الكتاب للقراء الشباب بشكل عـام، وللفتيان والفتيات الويلزيين[1] بشكل خاص.

لقد وجدت، في أثناء فترة تدريسي في ويلز الجنوبية، أن ثمة طلباً كبيراً على كتب الحكايات الخرافية الموجودة في مكتبة المدرسة، مما جعلها تتلف بسرعة كبيرة. ودفعني هذا إلى الاستفسار عما إذا كان القرّاء على اطلاع بالحكايات الخرافية المتعلقة ببلدهم هم. على أي حال، وفيما كانوا مطّلعين على فلكلور الشعوب الأخرى، كانوا، على نحو استثنائي يجهلون أسطورة «عائلة الجنّ» وأساطير أخرى من ويلز. كذلك فإن أبحاثاً إضافية رسخت قناعتي بأن هذا هو الحال بالنسبة إلى الفتيان والفتيات في جميع أنحاء ويلز.

(1) ويلز هي إحدى البلدان التأسيسية الأربعة في المملكة المتحدة، وتقع في المنطقة الجنوبية الغربية لبريطانيا العظمى، عاصمتها كارديف منذ العام 1955 (م).

Twitter: @ketab_n

وعندما جادلت طلابي بهذا الشأن راحوا يبررون لأنفسهم قائلين إنه لم يروِ أحد لهم أي حكايات ويلزية خرافيّة، وإنه لم يجدوا مجموعة من تلك الحكايات في متناول أيديهم ليقرأوها. وبعد إمعان النظر في أمر كهذا، أدركت أن ثمة صحة في هذا الالتماس أكثر من الكمّ الهائل من الأعذار التي كان لابدّ لي من أن أتعامل معها. كادت ممارسة هواية رواية القصص الخرافية في ويلز أن تنقرض بالتأكيد، وما تشاهده من أمر اهتمام الشباب وإقبالهم بنهم على قراءة هذه القصص يكاد يبدو غريباً. وفي الواقع فإنه لم يسبق لأحد أن جمع وقدم «حكايات ويلز الخرافية» للشباب. وبعد طول انتظار لمجيء كاتب أكثر أهلية مني ليقوم بهذه المهمة ولكن من دون جدوى، تنكبت مهمة إعداد هذا الكتاب، أولاً بهدف منع طلاب المدارس الويلزيين من أن يتذرعوا بحجج للدفاع عن أنفسهم بذرائع كتلك التي قدمها طلابي السابقون. لكنني وفي الوقت نفسه كنت آمل أن تجد السمات الخاصة بالحكايات الشعبية الويلزية في سياق تلك العالمية تجاوباً أوسع لدى القرّاء.

إن مصادر الحكايات عديدة ومختلفة: فمثلاً قصة، «زيارة إيليدير المؤقتة إلى أرض الجن». مأخوذة من حكاية «إينيون

Twitter: @ketab_n

وسيدة الغابة الخضراء» لجيرالدوس كامبرنسيس[1]، كما وردت في «مخطوطات لولو»[2]، فيما قصة «بوتوم هاندرد» التي تأتي، مجرّدة من سخريتها، من «نَحس إيلفين» لتوماس لاف بيكوك[3]. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الأسلوب الأصلي الذي كتبت به الحكايات تُرك على حاله إلى حد كبير. لقد حظيت بلطف السيد جون دايز ومندوبي مطبعة جامعة أوكسفورد ورعايتهم حين سمحوا لي بالاستفادة من كتاب «الفلكلور السلتي»: «ويلز ومانكس»[4] (من الصعب إيفاء مؤلف هذا المعجم حقه في مجال الفلكلور). وأيضاً كتاب «بلس أوين: الفلكلور الويلزي» للسادة وودال ومينشال وتوماس. وكتاب «ويرت سايكس: عفاريت بريطانية» للسادة سامبسون لو، مارستون وشركاه. وكتاب «بادّ جيلبرت: حقائقه، خرافاته وفلكلوره» للموقّر. د.ب. جانكينز، وكتاب «لعنة بانتانّاس» و«استبدال الأولاد في ليانفابون» للسيد إسحاق كرايغفرين هيوز. وعليه أتقدم بجزيل الشكر للذين وردت أسماؤهم آنفاً لما قدموه لي من لطف وحسن رعاية.

(1) يعرف أيضاً باسم جيرالد الويلزي (1146– 1223): رجل دين ومؤرخ وحكواتي، كتب باللاتينية (م)..

(2) لولو مورجانوغ أو إدوارد وليامز (1747– 1826): باحث وجامع مخطوطات وشاعر، كان يعد الأكثر علماً بالآداب الويلزية في ومنه، وإن كان اكتشف بعد موته أنه زوّر الكثير من المخطوطات (م).

(3) توماس لاف بيكوك (1785– 1866): كاتب ساخر إنجليزي (م).

(4) وضعه جون رايز، ونشرته مطبعة جامعة أوكسفورد عام 1901 (م).

Twitter: @ketab_n

يجدر بي القول إنه في حين كان من المهم في بعض الأحيان جمع بعض الشذرات المتناثرة لكي تتسق في معنى مفهوم، فقد كنت حريصاً على الاحتفاظ بروح هذه الحكايات كما هي في التراث والسرد التقليديين.

جنكن توماس

Twitter: @ketab_n

سيدة البحيرة

عالياً هناك، في فجوة من فجوات الجبال السوداء في جنوب ويلز، ثمة بحيرة وحيدة تُدعى «لين إي فان فاتش»[1].

وفي مزرعة غير بعيدة من هذه البحيرة عاشت في قديم الزمان، أرملة مع ابن وحيد اسمه جوين. وعندما كبر الفتى كانت غالباً ما ترسله أمه ليرعى الماشية قرب البحيرة لاعتقادها أن أحسن الكلأ يتوافر هناك، إلى درجة أن الحيوانات المتوسطة النظر بإمكانها أن تتجول هناك كيفما تشاء. ذات يوم وعندما كان جوين يتمشى على ضفاف البحيرة، مراقباً الأبقار تمحق العشب القصير، وقف مندهشاً لرؤية سيدة وهي تقف في المياه النقية العذبة، على مسافة من اليابسة.

(1) Llyn Y Fan Fatch: بحيرة حقيقية تحمل هذا الاسم ويعني الاسم بالويلزية «بحيرة هضبة الإنذار» وهضاب الإنذار اسم يطلق على الكثير من الهضاب حول العالم، إذ كانت تستعمل قمم هذه الهضاب للإنذار من خطر عدو آت عبر إشعال النار كإشارة للسكان، وتقع هذه البحيرة على التخوم الشرقية للجبل الأسود، في ويلز الجنوبية (م).

Twitter: @ketab_n

لقد كانت أجمل مخلوق وقع نظره عليه في حياته، وكانت تسرّح شعرها الطويل بمشط ذهبي، متخذة من صفحة المياه الساكنة مرآة لها.

وقف على الضفة، محدّقاً بثباتٍ نحو الفتاة، التي أحسّ نحوها بحبّ جارف. وفيما هو على هذه الحال، ومن دون أن يشعر، قدم لها رغيفاً من الشعير والجبن كانت والدته قد أعطته إياه قبيل مغادرته البيت. وشيئاً فشيئاً اقتربت السيدة منه، لكنها هزّت رأسها بينما هو لا يزال ماداً يده، وقالت:

كراس داي فارا،

أنت يا صاحب الخبز المُجعّد

نيد هاود فاي نالا،

ليس من السهل أن تفوز بي

ثم غطست تحت الماء، واختفت عن ناظريه.

عاد إلى البيت، يملأه الأسى، وأخبر والدته عن تلك السيدة الجميلة التي رآها. وفيما كانا يسترجعان الكلمات الغريبة التي قالتها السيدة الغامضة قبل أن تتوارى عن بصره، كان قد توصل

Twitter: @ketab_n

إلى اعتقاد أنه لابد من أن تكون هذه الكلمات تعويذة مرتبطة بالخبز المحمّص المقدد، ونصحت الأم ابنها في المرة القادمة بأن يأخذ معه بعض العجين غير المخبوز.

في صباح اليوم التالي، قبل بزوغ الشمس بكثير فوق أعالي الجبال كان جوين ينتظر بقلق ظهور سيدة البحيرة فوق سطح المياه. فقد أشرقت الشمس، وسطعت أشعّتها القوية مبددة الضباب عن ذرى الجبال، حتى أصبحت في كبد السماء. وهناك، ظلّ يراقب المياه ساعة بعد ساعة لكن شيئاً لم يظهر سوى التموّجات التي أحدثها النسيم وأشعة الشمس تتراقص فوقها. ومع بدء انقضاء وقت الظهيرة راح اليأس يتسلل إلى نفسه، وقد طال انتظاره من دون جدوى، فقرر العودة إلى البيت. وكم كانت بهجته عظيمة عندما ظهرت السيدة مجدداً فوق التموجات الذهبية تحت أشعة الشمس.

وقد بدت له أجمل من المرة السابقة، حتى نسي لشدة افتتانه بها ما كان قد أعده بدقة ليقوله لها، ولم يستطع إلا أن يمدّ يده مقدّماً لها العجين. إلا أنها رفضت الهديّة بهزّة من رأسها مثلما فعلت من قبل، مضيفةً الكلمات التالية:

Twitter: @ketab_n

لايت داي فاراء

يا صاحب الخبز الرَخوِ،

تي ني فايناء

هذا شيء لن آخذه منك

وقبل أن تتوارى مجدداً عن ناظريه وبمنتهى اللطف والعذوبة ابتسمت ابتسامة أججت نار الحب في قلبه.

عاد إلى البيت متثاقل الخطى حزيناً متألماً لفراقها، إلا أن ابتسامتها أمدته ببعض الأمل بأنها ربما تقبل هديته عند ظهورها في المرة القادمة.

وكعادته أخبر والدته بالأمر فقالت له: «إن السيدة ترفض بشدة الخبز المحمّص وغير المحمّص أيضاً. يجب أن تحاول في المرة القادمة مع خبز نصف محمّص فقد يلاقي قبولاً لديها». ولفرط قلقه في تلك الليلة لم يغمض له جفن، وقبل انبلاج الفجر بكثير راح يتمشى على حافة البحيرة، وخبزه نصف المحمّص بيده، يراقب بفارغ الصبر وبدقة متناهية سطح المياه الهادئ.

Twitter: @ketab_n

وبعد شروق الشمس، هطل المطر، فلم يشعر الشاب بما يدور من حوله، ولفرط لهفته لرؤيتها التي تشد بصره دائماً إلى المياه انقضى النهار، وحلّ المساء ولم يرَ المراقب القلقُ سوى التموجات الخفيفة، التي أحدثها المطر على سطح البحيرة. أسدل الليل ستائره وازدادت خيبة أمله، وراح حزنه يتضاعف وفيما كان على وشك الانصراف ألقى على المكان نظرة وداعٍ حزينة. وإذا به يرى بعض الأبقار تظهر على سطح البحيرة للتو، الأمر الذي أنعش لديه أملاً ضئيلاً بأن يتبع ذلك ظهور السيدة.

فجأة وبعد قليل ظهرت السيدة الفاتنة، الأمر الذي أفقده السيطرة على نفسه، ثم راحت تقترب من الشاطئ رويداً رويداً، فاندفع نشوان إلى الماء لملاقاتها، وبيده خبزه نصف المحمص فأخذته مبتسمة، وأخذت بيده ليساعدها على الوصول إلى الشاطئ، وهو يحملق بها باندهاش غير مصدّق ما يدور حوله، وقد أعجزته المفاجأة عن النطق بكلمة واحدة. ابتسمت له مجدداً فنظر إلى الأسفل، ورأى أن فردة حذاء رجلها اليمنى مربوطة بطريقة غريبة، فاستجمع قواه قائلاً: «سيدتي لقد امتلك حبك قلبي على نحوٍ لا يوازيه حب في العالم. لذا أريدكِ أن تكوني زوجة لي». لم توافق في البداية، وبعد إلحاحٍ وتوسلٍ كبيرين

Twitter: @ketab_n

وعدته بأن تكون عروسه، وبأن تعيش معه شريطة ألاّ تتلقى منه خلال حياتها ثلاث صفعاتٍ من دون سبب «تري إرغيد دياكوس[1]. وبمجرد أن تصفعني الصفعة الثالثة من دون سبب سأتركك إلى الأبد». حاول أن يجيبها أنه يفضل قطع يده قبل أن تمتد إليها بطريقة كهذه، لكنها فجأة وكعادتها اختفت مخلفة له خيبة أمل وحزن قاتلين. فقرر أن يضع حداً لحياته ويُلقي بنفسه في البحيرة. ووقف فوق صخرة كبيرة تقع عند أعلى البحيرة، وما إن همَّ بالقفز حتى سمع صوتاً عالياً يقول: «دعك من هذا، أيها الشاب المتهور، وتعال الآن».

التفت إلى مصدر الصوت فإذا به شيخ أبيض الشعر مهيب الطلة، ومعه فتاتان. فنزل وهو يرتجف من الخوف، لكن الشيخ بادره بلهجة مواسية: «أيها الشاب إني إذا رغبت سأقبل بأن أزوجك إحدى ابنتيْ، فأشر إلى من ترغب منهما». كانتا متشابهتين على نحو يصعب إزاءه العثور على فارق بينهما، إن من ناحية الطول أو المظهر أو الترف، فبدا مستحيلاً أن يتعرف أيهما التي وعدته بأن تكون عروسه. فحدّق ملياً وكاد أن يتسلل اليأس إلى نفسه، ثم اعتراه الخوف من أن تقوده الصدفة إلى الخيار الخاطئ، ويفقد حلمه إلى الأبد، إلى أن مدت إحدى الفتاتين

(1) باللغة الويلزية (م).

Twitter: @ketab_n

بهدوء شديد قدمها إلى الأمام قليلاً، فانتبه إلى هذه الحركة على بساطتها فنظر إلى الأسفل حيث رأى ربطة الحذاء الغريبة التي كان قد لاحظها من ذي قبل، فتقدّم منها وأمسك يدها بشجاعة.

قال الشيخ: «لقد اخترت الخيار الصائب، كن لها زوجاً طيباً ومحبّاً، وسأقدم لها هدية زواجها الكثير من الماشية: خراف وماعز وخنازير وخيول قدر ما تساعدها أنفاسها على أن تعد من كل نوع منها. لكن تذكر، إذا صفعتها لمرات ثلاث من دون سبب فإنها ستعود إلي».

كاد جوين يطير فرحاً، وراح يصرخ مجدداً، قائلاً إنه يستحق قطع كل أطرافه إن فعل شيئاً كهذا. ابتسم الشيخ، وطلب من ابنته أن تُحصي عدد الخراف التي تتمنى امتلاكها. وراحت تختارها بالأعداد الخماسية: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة لمرات متتالية، متعددة، حتى قصَر نَفَسُها. إذ ذاك راحت الخراف تظهر من المياه، بعدد ما كانت العروس قد أحصت. ثم طلب الأب منها أن تحصي الماعز التي تريدها فراحت تعد: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، إلى أن انقطعت أنفاسها وعلى الفور خرج العدد الذي تمكنت من الوصول إليه ثم

Twitter: @ketab_n

أعادت الكرة وراحت تحصي بالطريقة نفسها الخنازير والخيل التي أرادت، حتى اصطف القطيع كله، كل نوع إلى جانب النوع الآخر ثم اختفى الشيخ وابنته الأخرى.

أطلقت السيدة على نفسها اسم «نيلفريتش» وتزوجت من جوين وقد غمرتهما السعادة والبهجة وسكنا معاً بيتاً في مزرعة تدعى «إيسفير لاتداي»، حيث عاشا ورزقا ثلاثة أبناء، وازدهرت مزرعتهما كثيراً.

كان ابنهما الأكبر قد بلغ السابعة عندما دعيا إلى حفل زفاف بعيد من منزلهما فانطلقا للمشاركة فيه سيراً على الأقدام.

كان جوين ونيلفريتش مدعوين استثنائيين وما إن بلغا الحقل حيث ترعى الخيل، حتى قالت نيلفريتش إن الطريق طويلة جداً بالنسبة إليها، وإنها تفضل العودة إلى البيت وعدم الذهاب إلى الاحتفال. لكن زوجها صمم على المتابعة قائلاً: «إذا كنت لا تريدين المشي فاركبي الحصان. أحضري أحد هذه الجياد ريثما أعود إلى المنزل لأجلب لكِ السرج واللجام». فقالت: «حسناً سأفعل»، لكن أحضر لي أيضاً قفازيّ اللذين نسيتهما على الطاولة».

Twitter: @ketab_n

ذهب جوين وعاد ومعه السرج واللجام، فيما هي ظلت في مكانها لم تتزحزح طوال مدة غيابه، ولم تأتِ بالحصان كما وعدته. وكانت مفاجأته كبيرة حين عاد ووجدها عند البقعة التي تركها فيها، ثم أشار إلى ناحية الجياد، وصفعها ممازحاً صفعة خفيفة بالقفازين وقال: «هيا، هيا، إنه وقت النشاط».

قالت له بعدما تنهدت تنهيدة عميقة: «هذه أول صفعة من دون سبب». وذكّرته باتفاقهما الذي كادت سنوات السعادة أن تنسيه إياه.

وبعد سنوات عدة، وفيما هما يتمشيان في حفل معمودية أحد الأطفال، والفرح يغمر الضيوف والسعادة تخيم على الأهل، فجأة انفجرت نيلفريتش بالبكاء على نحو مثير للشفقة. ومن دون أن يدري ربّت جوين على كتفها وسألها لِمَ تبكين؟ قالت: «لأنّ هذا الطفل ضعيف إلى درجة أنه لن يحظى بالسعادة في هذا العالم. سيملأ الألم والعذاب كل أيام حياته التي ستكون قصيرة جداً، وسيفارق الحياة تحت وطأة الألم والعذاب المبرحين». ثم قالت لجوين: «إن هذه التربيتة على كتفي هي الصفعة الثانية لي من دون سبب يا زوجي». فتنبه جوين وأصبح شديد الحذر والخوف من القيام بأي عمل قد يؤدي إلى نقض الميثاق بينهما.

Twitter: @ketab_n

فهو يعيش سعادة غامرة بمحبته لزوجته وأولاده وكاد قلبه ينفطر لهذا التحذير الشديد اللهجة، وقرر عدم تكرار هذا الخطأ الفادح الذي سيحرمه من زوجته الحبيبة. ولم يمضِ وقت طويل حتى مات الطفل الذي كانت قد أشارت إليه نيلفريتش لشدة معاناته وآلامه المبرحة تماماً كما تنبأت له. فذهبا ليقدما واجب العزاء والمشاركة في الجنازة، فإذا بضحكة ابتهاج أطلقتها نيلفريتش، وسط نحيب الأهل وحزنهم العميق، مما أثار دهشة الحضور وصدمة الزوج لفعلتها تلك، ولكزها لكزة خفيفة قائلاً: «صه يا زوجتي، لمَ تضحكين؟». قالت: «أضحك لأن الطفل المسكين سعيد الآن، وقد برأ من الألم والمعاناة». ثم نهضت واقفة وقالت: «الوداع إذن، لقد صفعتني الصفعة الأخيرة». وانطلقت مباشرة متجهة نحو «إسفير لاتداي»، وعندما وصلت إلى البيت، راحت تنادي ماشيتها التي أتت بها لتتبعها، كل باسمه على النحو الآتي:

مو أويلفرتش، مو أويلفرتش،

البقرة الملجومة، الجريئة ذات الخوار الأجش

مو أويلفرتش، جو ينفرتش،

البقرة المرقطة، المنقطة بالأبيض؛

Twitter: @ketab_n

بيداير كاي تونّفريتش

أيتها المرقطة بمروج حقولٍ أربعة

بَرهَن واينبوينّ،

يا ذات الوجه العجوز الأبيض،

آرلاس جايجن

وأيتها الرمادية،

جيدار تارو جوين

مع الثور الأبيض

أوليس أي بْرِنين،

من قصر الملك،

آدلّو دو باتش،

وعجلكِ الصغير الأسود،

سيّد آر إي باتش،

الكبشة المعلّقة

Twitter: @ketab_n

ديرديث، ين إياتش آدري!

تعالي أنتِ أيضاً، ارجعوا جميعاً إلى البيت.

وعلى الفور لبت الماشية نداءها، حتى الحمل الصغير الأسود، الذي كان قد ذبح من قبل عادت الروح إليه ونزل عن الكُبشة، ومشى مع قطيع الماشية والأغنام والماعز والخنازير والخيول استجابة لأوامر سيدة البحيرة.

لقد كان الفصل ربيعاً، وكان هنالك أربعة ثيران تحرث في أحد الحقول. فنادتها أيضاً:

إي بيدوار إيديون غلاس،

أيتها الثيران الرمادية الأربعة

سيد آر إي ماس،

التي في الحقل،

ذيُويه شْويذي،

تعالي أنت أيضاً

ابن إباتش آدري!

Twitter: @ketab_n

وعودي بسلام إلى البيت.

مضت الماشية مع السيدة إلىالبحيرة التي جاءت منها. ثم اختفت في المياه مخلفة وراءها أخدوداً سبّبه المحراث الذي كانت تجرّه الثيران إلى البحيرة شاهداً عليها إلى يومنا هذا.

انفطر قلب جوين حزناً، فلحق بزوجته إلى البحيرة، يملأه الأسى، واضعاً حدّاً لمأساته بالقفز في أعماق المياه الباردة، أما الأبناء الثلاثة فقد هاموا على وجوههم حزينين متتبعين خطى والدهم، وأمضوا معظم أيامهم وهم يدورون حول البحيرة على أمل رؤية أمّهم المفقودة مرة أخرى. وذات يوم من الأيام وفي نهاية المطاف، ومكافأة لحُبهم وإخلاصهم لها، فجأة ظهرت نيلفريتش عليهم، ثم قالت لهم: «إن مهمتكم على الأرض هي تخفيف الألم والشقاء عن البشرية». ثمّ مضت بهم إلى مكان لا يزال قائماً حتى اليوم يسمونه «وادي الشفاء» (بانت إي ماديجون)[1]، وراحت تشرح لهم فضائل الأعشاب التي تنمو هناك، وتعلمهم طرائق الشفاء والتداوي بها. فاستفادوا من تعاليم والدتهم وأصبحوا أمهر

(1) Pant Y Meddygon: موضع فعلي يقع في ويلز ويعرف باسم «وادي الأطباء» لكثرة وجود الأعشاب الطبية فيه أو يسمى باسم «الصخور الواقفة» بسبب انتشار مثل هذه الصخور هناك (م).

Twitter: @ketab_n

أطباء الأرض. وقد منحهم رايز غروغ[1]، ملك «لاندوفري» وقصور دينيفور، المراتب العالية والأراضي والامتيازات في مدينة «ميدفاي» لممارستهم فنون الشفاء وتقديمهم العون لن هم في حاجة إليه. وقد ذاع صيت أطباء ميدفاي في كل أنحاء ويلز، واستمرت هذه الشهرة لقرون مع سلالتهم.

Twitter: @ketab_n

(1) أمير ويلزي (توفي في 1234) وقد حكم مملكة «دوبارث» (التي تعني حرفياً المنطقة الجنوبية) من ويلز (م).

آرثر في الكهف

في قديم الزمان كان أحد الرجال الويلزيين يتمشى على جسر لندن، ناظراً إلى حركة السير، متسائلاً لماذا هنالك العديد من الطائرات الورقية تحوم في سماء المكان. كان قد جاء إلى لندن بعد مغامرات عدة مع اللصوص وقطّاع الطرق، التي لا مجال لذكرها هنا. كان يرعى قطيعاً أسوَدَ من الأبقار الويلزية، باعه بأرباح كبيرة وذهب للتمتع بمناظر المدينة والذهب يقرقع في جيبه. وكان يحمل في يده عصا من شجر البندق (يجب أن تعرفوا أن حمل العصا الجيدة أمر ضروري للراعي تماماً كما الكلب للإنسان). وفيما كان واقفاً يلقي نظرة على بعض السلع في أحد المتاجر (لأن جسر لندن في ذلك الوقت كان من أوله إلى آخره يعج بالمتاجر) انتبه إلى أن أحدهم يحملق في عصاه. وبعد قليل جاء الرجل إليه وسأله عن الجهة التي وفد منها، فقال الرجل الويلزي بشيء من التجهم: «جئت من بلدتي»، لأنه لم يتمكن من تبيّن مكانة الرجل وشأنه، كي يجرؤ ويسأله سؤالاً كهذا.

Twitter: @ketab_n

قال الرجل الغريب: «لا تُسِئ فهمي. إن إجابتك عن سؤالي، وأخذك بنصيحتي أمران سيعودان عليك بالكثير من الفائدة، الآن: هل تذكر من أين اقتطعت هذه العصا؟». كان الويلزي لا يزال مرتاباً، فقال: «ماذا يهمّ من أين اقتطعتها؟»، فقال السائل: «لا إنه يهمّ، ثمة كنز مخبأ في جوار البقعة التي اقتطعت منها العصا. فإذا تذكرت المكان وأرشدتني إليه فإنك ستملك ثروات طائلة».

عندئذ فهم الويلزي أنه يكلّم ساحراً، وكان شديد الارتباك إزاء ما يجب أن يفعل. فمن ناحية أولى أغرته فرصة أن يصير غنياً، ومن ناحية أخرى، علم أن الساحر يمارس عمله من خلال الشياطين، فتوجّس من احتمال التعامل مع قوى الشرّ. سعى الرجل الماكر جاهداً لإقناعه، وفي النهاية جعله يطلعه على المكان الذي اقتطع منه عصاه.

سافر كل من الويلزي والمشعوذ إلى ويلز. ذهبا إلى «كرايغ إي دينـاس»[1]، أي القلعة الصخرية التي تقع على رأس «وادي نيث»، قرب جسر «نيدفاتشان»[2]، وقال الويلزي، وهو يشير إلى شجرة بندق هرمة: «من هنا اقتطعت عصاي». فقال

(1) موقع أثري ويلزي (م).
(2) قرية تقع جنوبي ويلز في وادي «نهر نيث» (م).

Twitter: @ketab_n

المشعوذ: «دعنا نحفر إذن». فراحا يحفران حتى وصلا إلى لوح صخري منبسط. وفيما هما يرفعان ذلك الغطاء عثرا على بعض الدَرْجات التي تقود إلى الأسفل. نزلا الدرجات وعبرا ممراً ضيّقاً، حتى وصلا إلى باب، فسأله المشعوذ: «هل لديك ما يكفي من الشجاعة للدخول معي؟». قال الويلزي الذي تغلّبَ فضوله على خوفه: «نعم سأدخل معك». وما إن انفرج الباب حتى شاهدا كهفاً عظيماً، وضوءاً أحمر خافتاً، تمكنا من خلاله من رؤية كل شيء. وكان أول ما وصلا إليه هو الجرس، فقال المشعوذ: «لا تلمس هذا الجرس، وإلا انتهى أمرنا نحن الاثنان». وحين انطلقا نحو الداخل، رأى الويلزي أن الكهف لم يكن مهجوراً. كان هنالك الآلاف من الجنود النائمين على مدّ البصر. وكانوا يتدرعون بدروع وضاءة، تلمع الخوذ على رؤوسهم وتبرق التروس على أذرعهم، وسيوفهم قريبة في متناول الأيدي فيما حرابهم مغروزة في الأرض. وفي وسط الكهف كانت طاولة مستديرة كبيرة يتحلق حولها المحاربون النبلاء ذوو المناقب الرفيعة، الممنوحون دروعاً تقديرية تعلن عن أنهم ليسوا من عامة الشعب، وقد أحنى كل منهم رأسه إلى الأسفل نائماً، وعلى عرشٍ ذهبي في ركن بعيد من الطاولة المستديرة كان ثمة ملكٌ ضخم الجثة مهيب الحضور يقبض

Twitter: @ketab_n

على سيف جبّار ذي غمدٍ وقبضة من الذهب المرصّع بجواهر لامعة؛ وكان على رأسه تاج مرصّعُ بأحجار كريمة تُومض وتتلألأ كأنها شرارات من نار، وقد أرخى النوم سُدوله على جفنيه أيضاً. سأل الويلزيّ، الذي لم يكد يصدّق عينيه: «هل هم نائمون؟». أجاب المشعوذ: «نعم كلهم، لكنك إذا لمست الجرس فإنهم سيستيقظون جميعاً».

«منذ متى وهم نائمون؟».

«منذ أكثر من ألف عام».

«ومن هم هؤلاء؟».

«إنهم محاربو آرثـر، ينتظرون إلى أن يحين الوقت حتى يحطّموا كل أعداء كيمري[1] ويسترجعوا جزيرة بريطانيا، مثبتين مَلِكهم مرة جديدة على ويلز»[2].

«ومن هم هؤلاء الجالسون حول الطاولة المستديرة؟».

(1) Cymru هو اللفظ الويلزي لويلز م).

(2) في هذا كله إشارة إلى شخصية الملك آرثر الأسطورية التي هناك جدال ما إذا كانت شخصية تاريخية أم أنها من محض الخيال، ويفترض أن آرثر هو الذي قاد البريطانيين ضد الساكسون الغزاة وقد قتل في معركة كاملان في تاريخ مفترض هو 537 ميلادي، وبعضهم يعتقد أنه سيعود يوماً ما (م).

Twitter: @ketab_n

«إنهم فرسان آرثر، أواين ابن أوريان، كاي ابن سينير، غو التشماي ابن غويار؛ بردور ابن إفروك، جيَرينت ابن إربن، تريستان ابن مارس، بيدوير ابن بيدراود، سيلوتش ابن سيليدّون، إدايرن ابن نودّ، ساينون ابن كليندو»، ثم قاطعه الويلزي قائلاً: «ومن يكون هذا المتربع على العرش الذهبي؟». أجاب المشعوذ: «إنه آرثر بنفسه، وبيده سيفه إكسكاليبور[1]». في هذه الأثناء انطلق المشعوذ، الذي كان قد راح يضيق ذرعاً بأسئلة الويلزي، إلى كومة هائلة من الذهب الأصفر على أرض الكهف، ثم حمل قدر ما استطاع أن يحمل، وطلب من رفيقه أن يحذو حذوه، ثم قال: «لقد حان وقت الذهاب». ثم توجه نحو الباب الذي دخلا منه. لكن الويلزي كان مسحوراً برؤية جحافل الجنود النائمين بأسلحتهم البرّاقة. فقال لنفسه: «كم أودّ أن أراهم جميعاً مستيقظين! سألمس الجرس، يجب أن أراهم جميعاً يستفيقون من سُباتهم».

وما إن وصل إلى الجرس، وقَرعه حتى دوى صوته في كل أرجاء المكان. وفجأة انتصب آلاف المحاربين على أقدامهم،

(1) سيف الملك آرثر الأسطوري الذي تعزى إليه قوى سحرية ويرتبط رمزياً بوحدة الأراضي البريطانية وفي أسطورة آرثر منح هذا السيف من قبل «سيدة البحيرة» (الحكاية الأولى) في بداية حكمه (م).

Twitter: @ketab_n

فارتجّت الأرض من تحتهم لهول قعقعة الأسلحة الفولاذية، وانطلق صوت عظيم بين الجموع قائلاً: «من الذي قرع الجرس؟ هل جاء اليوم الموعود؟».

راح المشعوذ يرتعد خوفاً كورقة الشجر. فأجاب المشعوذ: «لا لم يأتِ اليوم الموعود، بإمكانكم أن تتابعوا نومكم. بدأ الحشد الهائل كله يتحرّك، وكان بَصر الويلزي مخطوفاً ينظر إلى الأسلحة الفولاذية البرّاقة التي أضاءت الكهف كأنها ألسنة نيران هائلة.

قال الصوت مجدداً: «انهض يا آرثر، لقد قرع الجرس، وها هو النهار ينبلج. قُم، يا آرثر العظيم».

صرخ المشعوذ: «لا، فالليل لا يزال مخيماً، تابع نومك، يا آرثر العظيم». ثم انطلق صوت من العرش فانتصب آرثر واقفاً، وأخذت جواهر تاجه تلمع كأنها نجوم مشرقة من فوق الحشد الذي لا يُحصى. كان صوته قوياً، وعذباً كخرير مياه متدفقة، وقال: «أيها المحاربون، لم يأتِ اليوم الذي سيذهب فيه النسر الأسود والنسر الذهبي إلى الحرب. إنّ من قرع الجرس مجرّد ساعٍ وراء الذهب. تابعوا نومكم، يا محاربيّ، إن فجر ويلز لم يحن بعد. ثم ساد الكهف صوتٌ هادئ كتنهيدة البحر البعيدة، ومجدداً خلد الجنود جميعاً

Twitter: @ketab_n

إلى النوم. وعلى وجه السرعة اندفع المشعوذ الويلزي إلى خارج الكهف وأعاد الصخرة إلى مكانها، واختفى. حاول الويلزي مرّات عدة إيجاد السبيل إلى الكهف مجدداً، لكنه لم يعثر على المدخل قطّ، مع العلم أنه حفر فوق كل بوصة من ذلك المدخل.

Twitter: @ketab_n

لعنة بانتاناس

في زمن مغرق في القدم، في مزرعة بانتاناس، في مقاطعة كلامورغان[1]، عاش زوج عجوز فظّ. كان يكره شعب الجن السحرة الذين يرقصون في حقوله على ضوء القمر، ويتوق إلى إيجاد طريقة ليُخلّص أرضه منهم.

وحين عجز عن الخروج بأي خطّة، قصد ساحرة عجوزاً وأطلعها على أمنيته، ثم تمكنت من الحصول منه على وعد بإعطائها محصول حليب ليلةٍ كاملةٍ من ماشية مزرعته، ثم نصحته قائلة: «كلما رأيت حلقة جنّ في حقولك فاحرثها وازرعها بالذرة». ثم تابعت: «وما إن يرى الجن أن العشب اختفى في بقعة ما فلن يعودوا إليها البتة». أخذ المزارع بنصيحتها، فوضع النير على رقبة ثوره وراح يُعمل محراثه الحديدي في كل الدوائر التي رقص فيها الجن ليلاً، ثم زرعها بالذرة. وما إن توقفت أصوات الرقص والغناء الليليّة، لم يعد أحد يشاهد جنياً واحداً في حقول بانتاناس.

(1) تاريخياً إحدى المقاطعات الثلاث عشرة التي تشكل ويلز وهي تضم أكبر مدينتين ويلزيتين كارديف العاصمة وسوانسيا (م).

Twitter: @ketab_n

فرح المزارع كثيراً، واحتفل مزهواً بانتصاره، حتى إنه ذات مساء وفي أحد أيام الربيع حين كان القمح أخضر في الحقول، وحينما كان المزارع عائداً إلى بيته تحت أشعة شمس المغيب الحمراء، تقدم منه مخلوق صغير جداً يلبس معطفاً أحمر، وأخرج سيفاً صغيراً من غمده، وصوَّبه نحو رأسه قائلاً:

«دبال أدّاو،

الانتقام آتٍ،

إي ماي غلير بلاو،

إنه يقترب بسرعة.

وحين فرغ من قوله هذا اختفى القزم ثم حاول المزارع الضحك، لكن شيئاً كان مخبأ في نظرات الرجل الصغير الغاضبة، المتجهّمة، جعله يشعر بالانقباض الشديد.

وعلى كل حال، فقد انقلب الربيع إلى صيف، والصيف إلى خريف، ولم يعد يحدث شيء مما كان يحدث في الماضي في حقول المزارع حتى إنه هو نفسه ساوره الظن بأنه كان شديد الحماقة حين خشيَ من تهديد الرجل الصغير ذي المعطف

Twitter: @ketab_n

الأحمر. وذات ليلة من ليالي الخريف في موسم نضوج الذرة التي أينعت وصار لونها ذهبياً في الحقول، وقد آن للمنجل أن يقطفها، وفيما كان المزارع وعائلته يستعدون للإيواء إلى النوم، سمعوا جلبة مفاجئة اهتزت لها أرجاء المنزل الذي كاد أن يتصدع لهولها، وبينما هم يرتجفون خوفاً سمعوا صوتاً عالياً يقول: «داوديال، لقد حان وقت الانتقام».

وفي الصباح التالي لم يبقَ في حقول الذرة، كوز ولا حتى قشة، فقط مجرد رماد أسود. لقد أحرقت الجنيّات الحصاد. وراح المزارع يمشي في حقوله، ناظراً بأسىً إلى الدمار الذي أحدثته الجنيّات، حين التقاه المخلوق الصغير نفسه الذي كان قد لقيه في السابق. قال القزم مشيراً مهدداً بسيفه:

نيد إو أوند دِشراو.

ليست هذه سوى البداية.

شحب وجه المزارع وصار بياض الحليب، وراح يلتمس منه الرحمة.

أخذ يرتعد من الخوف، ثم قال إنه مستعد أن يترك حقوله للجن يرقصون ويغنون حتى ينمو العشب فيها مجدداً. وليرقصوا

Twitter: @ketab_n

قدر ما يرغبون، ولن يعترض سبيلهم أحد، شريطة ألاّ يعاقبوه. وكان الجواب الصادم: «لا، إنها كلمة الملك الذي سيثأر لنفسه منك، إذ لا يمكن لقوة أن تخالف أوامـره». انفجر المزارع بالبكاء، وراح يتوسّل بحزن وألم شديدين، أن يسامحه الجنّ على غلطته إلى درجة أن المخلوق الصغير أشفق عليه أخيراً، وقال إنه سيلتمس له العفو لدى ملكه: «بعد ثلاثة أيام من الآن، وعند وقت المغيب سوف آتي مجدداً، وأخبرك بأمر سيّدي».

وفي اليوم الثالث، وعندما حان الوقت كان العفريت منتظراً المزارع في البقعة المحددة، فقال له: «إنها كلمة الملك، التي لا حياد عنها، ويجب أن يحين وقت الانتقام. مع ذلك، وبما أنك ندمت على فعلتك وتتوق إلى التكفير عنها، فلن تحل اللعنة عليك في حياتك ولا في حياة أبنائك، بل سنؤجلها إلى أجيال لاحقة بعدك». طيّب هذا الوعد خاطر المزارع. فنَمَت مجدداً دوائر العشب الخضراء الداكنة، ورقص الجن السعداء وأدخلت أصوات الموسيقى السُرور إلى الحقول كما من ذي قبل، إلا أنه وبين الحين والآخر، كان الصوت المخيف يرتفع مردداً التهديد نفسه: «داوديال، لقد حان وقت الانتقام».

Twitter: @ketab_n

لكن المزارع توفي عن عمر طويل قضاه بسلام، وتبعه أبناؤه إلى المقبرة من دون أن يشعروا بأي تأثير للّعنة التي نطق بها ملك الجنّ.

وبعد مرور مئة سنة على أول تحذير، كان زفاف مادوك، وريث بلدة بانتانّاس، سيقام على تيليري، ابنة حاكم بلدة «بن كريغ داف»، وحُدّد يوم الزفاف بعد أسابيع قليلة، متزامناً مع مناسبة أعياد الميلاد، وقد أقيمت حفلة في بانتانّاس دعيت إليها تيليري وكل أقربائها.

انقضى الحفل سريعاً وأزجى الجميع الوقت بسعادة حول الموقد ساردين حكاية من هنا ومنشدين أغنية من هناك، بالإضافة إلى صخب النهر المتدفق الفائض خارج المنزل حين خُيّل إليهم أنهم سمعوا صوتاً يقول:

دايث أمر إيمدّيال،

لقد آن أوان الانتقام.

خيّم الصمت على الزوّار السعداء، فخرجوا وأصاخوا السمع متبيّنين إن كان بإمكانهم سماع الصوت مرة أخرى؛ لكن ورغم انقضاء مدة طويلة وهم منصتون يحاولون تمييز أي صوت آخر

Twitter: @ketab_n

غير صخب النهر الفائض يشق القاع الصخري، لم يسمعوا شيئاً، فعادوا إلى البيت، وبعد قليل بدأ خوفهم يتبدد تدريجياً، وعادوا جميعاً إلى حالهم السابقة من الفرح والحبور. ومجدداً، ارتفع فوق أصوات البهجة وخرير المياه المتدفقة تتدفق فوق الصخور الضخمة، صوت واضح وصريح يقول:

دايث أمسير

لقد آن الأوان.

دَوّى حولهم ضجيج مرعب هزّ أساسات البيت. وفيما جلسوا عاجزين عن النطق لشدة الخوف، رأى أحدهم من النافذة قفا عفريتة ليس لها شكل محدد. ثم بادرها أحدهم وكان أشجعهم: «ماذا تريدين منا أيتها المخلوقة الصغيرة البشعة؟». فقالت العفريتة: «لديّ شأن صغير معك أيها الثرثار، أتيت لأحذر من الهلاك الذي ينتظر هذا البيت، ومن أمور أخرى تساعد على هلاكه، لكن وبما أنك شَتَمتني، فلن أرفع الحجاب الذي يخفي الكارثة خلفه»، ثم اختفت، ولم يعرف أحد يعرف كيف ولا أين. وعندما رحلت، ارتفع الصوت مجدداً ينادي بأعلى مما كان من ذي قبل:

Twitter: @ketab_n

دايث أمسير إمدّيال.

لقد آن أوان الانتقام.

حلّ الرعب والغَمُّ على الجميع. وبعد قليل تفرق الضيوف عائدين إلى بيوتهم وهم يرتجفون خوفاً، وأعاد مادوك خطيبته إلى «بن كرايغ داف»، فاعلاً كل ما بوسع أي محبٍّ فعله ليبدّد مَخاوفها، لأن الهلع والخوف صعقاها في الصميم كما لم يحدث لها من ذي قبل.

توالت أوقات الظلمة ساعة إثر أخرى والملل يخيم ولم يعد مادوك إلى بانتانّاس. حلَّ الصباح ومادوك لم يعد، وكاد أهله العجّز، الذين هزّتهم رؤية العفريتة والأصوات الغريبة التي قطعت عليهم حفلهم السعيد، يفقدون صوابهم من شدة القلق. وعندما انقضى النهار ببطء من دون أي إشارة عن مادوك، أرسلوا رُسلاً في كل الاتجاهات لاستقصاء أخباره، لكن جُلَّ ما اكتشفه هؤلاء أنه عاد أدراجه إلى البيت بعد أن ودّع خطيبته في «بن كرايغ راف». خرج أهل الريف كله بحثاً عنه. فتَّشوا كل تلّةٍ وكل وادٍ على مسافة أميالٍ، ونقّبوا عنه في أعماق الأنهار، لكنهم لم يعثروا له على أثر. وبعد انقضاء أسابيع عدة من البحث من دون جدوى، قصد الأب والأم ناسكاً عجوزاً يقطن في

Twitter: @ketab_n

كهف يقع فوق البلدة، وسألاه عما إذا كان ابنهم المختفي عن أعينهم سيعود إليهما أم لا. فصارحهما الناسك، وهما ينشجان، أن الحكم الذي هدد الجن به في العصور القديمة قد تمكن من كيان الشاب المنحوس واستحوذ عليه، ونصحهما ألاّ يأملا رؤيته في المستقبل لا حيّاً ولا ميتاً. قد يحدث ويعود ابنهما لكن بعد انقضاء أجيالٍ على موتهما. انقضى الوقت، صارت الأسابيع شهوراً والشهور سنوات، وصدّق الجميع تدريجياً كلام الناسك. الجميع كافة ما عدا شخصاً واحداً، وهي الفتاة الرقيقة تيليري، التي لم تفقد الإيمان قطّ بأن حبيبها ما زال حيّاً وسيعود. فكانت كل صباح عندما تقتحم الشمس أبواب الفجر، تقف على قمة صخرة عالية، راصدةً المشهد بانتظام من بعيدٍ ومن قريب، بحثاً عن علامةٍ ما تدل على عودة حبيبها، من مطلع الشمس حتى غيابها وراء شرفات ميادين الغرب. مات والدا مادوك، وأخذا جرحهما معهما إلى مرقدهما الأخير، لكن تيليري لم تفقد الأمل قطّ. وسنة بعد سنة ظلت تنتظر وتراقب حتى غامت عيناها المشرقتان، واستحال شعرها الكستنائي فضيّاً. ولشدة هزالها وتوقها الذي بلا جدوى ماتت قبل أوانها فدفنوها في مقبرة المعبد القديم. ثم مات جميع مجايلي مادوك واحداً إثر الآخر، وصارت قصة اختفائه الغريبة مجرّد حكاية قديمة.

Twitter: @ketab_n

بيد أن اعتقاد تيليري الراسخ بأن حبيبها لا يزال حيّاً معافى، كان صحيحاً. وهذا ما حصل له بالفعل: بينما كان عائداً إلى البيت من «بن كرايغ واف»، سمع صوت موسيقى من أعذب ما سمعه في حياته، وقد انبعثت من كهف في منطقة تدعى «حفرة الغراب»، فتوقف ليستمع إليها. وبعد قليل بدت أصوات الموسيقى تنحَسِرُ أكثر إلى داخل الكهف، فتبعها ليتمكن من السماع والاستمتاع بشكل أفضل. ثم راحت النغمات تنحسر أكثر فأكثر، بينما نسي مادوك كل شيء من حوله مأخوذاً بسحرها يتبعها أكثر وأكثر إلى داخل غيابات الكهف. وبعدما أنصت إليها لساعة ربما أو لساعتين توقفت الموسيقى، وفجأة تذكر أن والديه سيكونان قلقين لعدم عودته بعد أحداث تلك الليلة الغريبة، وعلى عجلٍ عاد أدراجه إلى فم الكهف. وعندما خرج من الفجوة، كانت الشمس قد صارت في كبد السماء، وأدرك أنه قد أنصت للموسيقى أكثر مما كان ينوي في البداية. فأسرع إلى بانتانّاس وفتح باب المنزل ودخل. حيث كان يجلس حول النار شيخ طاعن في السن فسأله: «من أنت كي تدخل عليَّ بهذه الوحشية؟».

Twitter: @ketab_n

سيطر على مادوك إحساس بالدهشة، فنظر حوله، فتبين له أن كل ما في المنزل مختلف عمّا اعتاد عليه. فمشى نحو النافذة ونظر إلى الخارج. فرأى تغيرات مختلفة وغريبة وكثيرة في معالم البلدة أيضاً.

إنتابه إحساس غامض أن تغييراً هائلاً قد طرأ على حياته، فأجاب والتعب قد نال منه: «أنا مادوك».

قال العجوز: «مادوك؟ مادوك؟ أنا لا أعرفك. لا يعيش أحد بهذا الاسم هنا، ولم يسبق لي أن عرفت رجلاً بهذا الاسم أيضاً. إن مادوك الوحيد الذي أعرفه هو ذاك الذي حكت لي جدتي قصته وقالت إنه اختفى فجأة منذ سنوات طويلة من هذا المكان، ولم يعرف أحد بمصيره». فانهار مادوك على الكرسي باكياً، وكاد قلب الشيخ ينفطر حزناً عليه، فاقترب منه لكي يربت على كتفه بهدف التخفيف عنه. وما أن لامست يده كتف الشاب الباكي حتى استحال، للأسف، غباراً متناثراً.

Twitter: @ketab_n

غرق «بوتوم هاندرد»[1]

١.

في أوائل القرن السادس عشر، كان غويدنو غارنهير[2] ملك كريديغيون يقيم في سهل «بوتوم هاندرد» الكبير الذي يشكل الجزء الأكثر أهمية في مناطق نفوذه. فهو عبارة عن منطقة واسعة من الأراضي المنبسطة الممتدة على طول الساحل الذي ينسب الآن لمقاطعتي ميريونيت وكارديفان. كانت هذه المنطقة خصبة وآهلة بالسكان، إذ تضم ست عشرة قرية محصنة تحصيناً يفوق كل ما لدى المدن والقرى الأخرى في ويلز، ما عدا «كاير ليون» الواقعة في «أوسك». وكان فيها أيضاً واحد من المرافئ الثلاثة الأكثر أهمية في جزيرة بريطانيا وهو مرفأ غويثنو. وكان معروفاً من الفينيقيين والقرطاجيين الذين كانوا يقصدون الجزيرة بحثاً عن المعادن، منذ فجر التاريخ.

(1) Hundred: تقسيم جغرافي يستعمل في بريطانيا والدانمارك وجنوب أستراليا وفي أجزاء من ألمانيا والسويد وفنلندا والنروج، وقد استعمل هذا التقسيم تاريخياً لتقسيم الأراضي الواسعة إلى وحدات جغرافية وإدارية أصغر. وبوتوم (الأسفل) هاندرد، تعني بالتالي الأرض العميقة أو السفلية (م).

(2) هو الملك المزعوم لما يعرف باسم الأرض الغارقة قبالة ساحل ويلز، وهو والد إلفن أب غويدنو، اذي تولى تربية الشاعر الويلزي تاليزين في الحكاية الأسطورية العائدة إلى القرون الوسطى والتي تعرف باسم حكاية «تاليزين» (م).

Twitter: @ketab_n

كانت تلك البلدة مرتفعة عن سطح البحر، لذلك بنى السكان منذ القدم سداً صخرياً ضخماً لحمايتها من عوامل المد الهائج. وقد صمد هذا السد أمام ضربات الموج لقرون عدة.

عندما تولى غويثنوالحكم، شيّد أبراج مراقبة على طول السد، وعيّن مراقبين مهمتهم التصدي لأقل ضرر أو بادرة انهيار تصدر عنه.

كانت الأبـراج وحرّاسها تابعة للأمير سايذن ابن سايذن سايدي، الذي يقطن قصراً قريباً من المرفأ البحري، وكان قائد الموقع لكونه يحتل منصب المفوض الأعلى للسد الملكي. وكان معروفاً بوصفه واحداً من السكّيرين الثلاثة الأكثر شهرة في بريطانيا. وبسبب سكره فوض أمر السد إلى نوابه الذين هم بدورهم أوكلوا مهمته إلى مساعديهم الذين عادوا وأوكلوا أمره إليه هو نفسه.

كان ثمة شخص واحد يقوم بواجبه، وهو: «تايثرن» ابن «تاثرال» الموظف المسؤول عن مراقبة البرج الكائن في نهاية السد عند نقطة «موكراس» في أرض «آردودو».

Twitter: @ketab_n

أبقى تايثرن القسم المسؤول عنه من السد في حالة جيدة. وكان ينجز مسؤولياته اليومية بتأنٍ ودقة. وذات يوم راح يتمشى صوب الأبراج الأخرى التي على السد، فرأى علامات تدل على الإهمال، فأصابه القلق، وقرر الذهاب إلى القائد الذي يقيم عند الطرف الجنوبي للسد في منطقة كريديغيون، لينقل إليه ما قد لاحظه من تقصير. استقبله زملاؤه في الأبراج الأخرى بحفاوة وكذلك الأمير سايذن، وقد ظن الجميع أنه جاء ليتسلى فلم يطرح عليه أحدهم أي سؤال. كما حرص بدوره على ألا يسألهم شيئاً، بل أخذ يراقب ويعاين بصمت. وعندما أنهى مراقبته، أسرع إلى قصر غويثنو المبني من صخور الأردواز المنتقاة من ضفاف نهر «ماوداتش» الصخرية الواقعة تماماً فوق النقطة التي يبدأ عندها سهل «بوتوم هاندرد». حيث تمتد الغابات الخضراء ذات الينابيع المتلألئة.

لدى وصوله استقبله غارنهير بحفاوة بعدما أعلمه الحارس أن «السكين في اللحم والشراب في القرن» وهذه عبارة تستخدم عند الترحيب بأحد العظماء، إذ لا يمكن أن يدخل القصر إلا ابن من هو ملكٌ على بلد مميز أو حرفي يجيد حرفته. استمر الحفل أياماً عدة، حتى يئس تايثرن في إمكانية إيصال رسالته. ومضى يبحث عن ابن الملك إيلفين.

Twitter: @ketab_n

كان الأمير الشاب قد ذهب ليصطاد في «ماوداتش» عند بقعة محددة حيث يجري النهر. وبعد مغادرته جبال منطقته واصل الأمير تقدمه عبر السهل الذي تخللته جداول عديدة، وبرك متلألئة في قلب واد ريفي. ثم تعب فجلس تحت شجرة دردار قديمة يتأمل قمر الخريف الناعم، ويستمتع بخرير مياه النهر المندفع بسرعة، حيث تلمع أشعة الشمس مخترقة أوراق الأشجار. وقد دفعت موسيقى النهر الرتيبة وسكون الهواء إيلفين إلى النوم.

لكن هبّة ريح مفاجئة نبهته من نومه، وخيّل إليه أنه سمع خلالها كلمات من قبيل: ظلم، اضطهاد، واستوقفته عبارة من بينها تقول: «احذر بطش غوينوديو». حدث ذلك في برهة وجيزة توقفت بعدها أوراق الشجر عن التحرك وعاد السكون العميق يلف المكان.

كانت غوينوديو الحورية التي ترعى المحيط، وكانت الأمواج خرافها، والموجة التاسعة التي تفوق ما قبلها قوة وحجماً هي كبشها. ولم تكن تلك المرة الأولى التي يحذر بها قصر كريديغيون الملكي من ظلمها.

وغالباً ما سمع غويثنو الكلمات المبهمة ذاتها، مع هبوب النسيم، فسكنت مخيلته واجتاحت ذاكرته حتى جعلته

Twitter: @ketab_n

يتوقف عن النزول إلى البحر بقاربه، ويقرر السكن في قلب البلاد ليتجنب رؤية المياه الهائجة.

وكذلك ترامت لسمع إيلفين تلك التحذيرات لكنها لم تستحوذ على تفكيره بشكل دائم. وعلى أي حال لم يساوره شك في أن الكلمات المنذرة قد قيلت فعلاً بالقرب منه. قام من مجلسه تحت الأشجار المحيطة بالنهر، وأخذ ينظر إلى الضفة الصخرية. في تلك اللحظة رآه تايثرن فاقترب منه، لم يعرفه إيلفين وسأله عن اسمه.

فقال له: «أنا أدعى تايثرن ابن تاثرال»

قال إيلفين: «عمَّ تبحث هنا؟».

قال تايثرن: «أبحث عن أمير بوتوم هاندرد، إيلفين ابن غويثنو غارنهير».

سأل إيلفين: «هل كنت تتكلم خلال اقترابك مني؟».

أجاب تايثرن: «لا، لم أنطق بكلمة واحدة».

قال إيلفين: «بل تكلمت بالتأكيد، لقد كررت الكلمات الآتية: احذر بطش غوينوديو».

Twitter: @ketab_n

لكن تايثرن نفى مجدداً أن يكون قد تلفظ بكلمة، لكن وقعها المبهم جعله يخبر إيلفين عن مخاوفه من احتمال انهيار السد الملكي. ثم صمم الأمير على مرافقة تايثرن لزيارة المفوض الأعلى للسد، كي يبلغه احتجاجه الشديد على التقصير.

اجتازا وسط البلدة المسورة باتجاه مرفأ غويثنو المميز، حيث ينتصب قصر سايذن بالقرب منه. سارا بمحاذاة السد متجهين إلى القصر، فأشار تايثرن إلى التصدع الذي أصاب جسم السد.

لكن الأمير كان مأخوذاً بالمياه المتلألئة في البحر وبعظمة شمس المغيب، خاصة أن الهواء كان ساكناً، وكان الزبد الأبيض المشوب بلون الغروب يغسل الرمال في الأسفل. ثم حوّل إيلفين بصره من روعة المحيط الباهرة صوب المروج والسهول الخضراء، والغابات الكثيفة في المدى البعيد، التي ترتفع منها أعمدة الدخان، مشيرة إلى الأكواخ المنعزلة والقرى المأهولة، وإلى حاجز الجبال الصلب الرابض خلفها تنتشر على سفوحه الغابات بالقرب من شفير الجرف المكفهر، التي تتجمع الغيوم فوق قممها، حمراء في ظلّ الغروب. حدّق إيلفين بالسهل العامر بالقرى، المستريح في هدوء المساء بين الجبال والبحر، ومشاعر ألم عميقة تجتاحه، وهو يفكر بكل حياة بشرية وبكل سعادة ائتمنت عليها هذه الكتلة الحجرية المتصدعة التي يقف عليها.

Twitter: @ketab_n

٢.

كانت الشمس قد غاصت في البحر عندما وصل الرجلان إلى قصر سايذن. وقد استقبلهما عازف قيثارة ومغنٍ من داخل القصر. دخلا الصرح المتوهج بضوء المصابيح، فوجدا الأسرة كلها تصيح منشدة أغنية «قرن الجاموس الأزرق»:

«املأ القرن الأزرق حتى الجمام،

املأه حتى الجمام، قرن الجاموس الأزرق المطعّم بالفضة،

فيما غشاء الأفق يتمزق بوابل جوقتنا،

فيما الأنوار تتخلل أغانينا إملأه

املأه حتى الجمام

القرن العميق المطعّم بالفضة».

وقف إيلفين وتايثرن لبعض الوقت في القاعة يتأملان المشهد قبل أن يلفتا انتباه سايذن الذي كان يلوح بكأسه الذهبية بين

Twitter: @ketab_n

المغنين والعازفين. فلم ينتبه إليهما إلا عندما أوشك الحفل أن ينتهي، فصرخ: «أهلاً بكم أنتم الأربعة».

أجابه إيلفين: «نشكركم فنحن اثنان فقط».

رد سايذن: «اثنان أم أربعة، لا يهم، أهلاً بكم جميعاً. لقد جرت العادة عند دخول غريب أن يبدأ الترحيب به بغسل قدميه، أما أنا فالعادة عندي أن أغسل حنجرته. سايذن ابن سايذن سايدي، يرحب بكم». رد إيلفين: «إيلفين ابن غوينثو غارنهير يشكركم».

فوجئ سايذن عندما عرف أنه في حضرة ابن الملك، وبانحناءة تعبر عن لطفه ولياقته دعاه إلى أن يجلس عن يمينه. وبقي تايثرن في آخر القاعة إلى أن ناداه سايذن: « تعال يا رجل، تعال اجلس، واشرب» وأشار إليه بالجلوس إلى جانب إيلفين.

تكلم إيلفين قائلاً: «أتيت لزيارتك كي أحدثك في موضوع بالغ الأهمية. لقد وصلتني تقارير تفيد بأن السد الذي عُهِد إليكم أمر العناية به، أصابه تصدّع خطير».

أجاب سايذن: «التصدع شيء، والخطر شيء آخر. كل ما هو قديم سوف ينهار. وسأقول بصراحة: إن السد قديم قد تشققت

Twitter: @ketab_n

بعض نواحيه، لا أنكر ذلك، ولكن إذا ترتب علي إثر ذلك أي سوء، فسوف أقدم اعتراضاً قوياً نيابة عن السد نفسه. فهو يقوم بعمل جيد، إنه يمنع طغيان المياه على الأرض. أيها الساقي، املأ الكأس».

قال تايثرن: «القسم الحجري من السد واهن نَخِر، والمواسير فيه مهترئة وتالفة متفلتة من مواضعها. والأسوار والأحواض متهالكة متصدعة».

أجاب سايذن: «لقد كان أجدادنا أكثر حكمة منا، وقد بنوا السد بحكمتهم، وإذا تسرعنا بإصلاحه، فقد نفسد ما صنعوه. لقد صمد هذا البناء الرائع لقرون وسيبقى صامداً لعصور قادمة إذا تركناه على حاله. إنه في حالة جيدة، فدعوه كما هو. أيها الساقي املأ الكأس».

حاول إيلفين وتايثرن أن يقنعاه، لكن كلامهما كان يقابل منه بأن كل شيء على ما يرام. وكان دائماً يختم باللازمة نفسها: «أيها الساقي، املأ الكأس». ثم ما لبث أن أغفى، وقد سار على منواله الجميع، فقد قوطع كلام المضيف والزوار بأصوات ارتطام رجال ضخام الجثث سكروا لكثرة ما شربوا.

Twitter: @ketab_n

عندما وقع سيد القصر أسير النوم، كان الجميع منبطحين على الأرض ما عدا السقاة. وراح إيلفين وتايثرن يتأملان باشمئزاز حالة الفوضى تلك. فجأة انفتح باب جانبي في آخر القاعة العليا، على شمال سايذن، ودخلت شابة جميلة إلى القاعة مع وصيفاتها وخادماتها. كانت آنغاراد ابنة سايذن، فحيّت الأمير بلطف، بينما راح يتأملها مبتهجاً، ملاحظاً تناقض جمالها الرقيق ورصانتها، مع مشهد السكارى المنبطحين أرضاً عند قدميها.

قالت: «أيها الغريب، يبدو هذا المكان غير ملائم لك. دعني آخذك إلى حيث ترتاح وتستمتع».

رد إيلفين: «سيدتي الجميلة إنه غير مناسب لك أنتِ أيضاً؟». فقالت: «واجب آنغاراد السهر على متعة والدها».

أخذ إيلفين يفكر برد مناسب على كلامها، بينما وقفت صامتة، متوقعة أن يتابع الحديث. وفي لحظات الصمت تلك، عصفت الريح فجأة، وسمع عويلها من بين ثقوب الجدران. فعلّق إيلفين: «تبدو الليلة عاصفة إلى حد ما». أجابت آنغاراد: «نحن معتادون على العواصف، إننا بعيدون عن الجبال، نقيم بين الأراضي المنخفضة والبحر، والرياح تهب حولنا من كل الجهات». ثم سادت لحظات أخرى من الصمت، هبت خلالها الريح ثانية مجلجلة كالرعد من بين الثقوب.

Twitter: @ketab_n

وسط مشهد السكارى والنائمين والقاعة الغارقة في الفوض والمصابيح الباهتة الضوء والمترنحة الشعلات، كانت آنغاراد الحسناء تتألّق بجمال فريد باهر. خفت عويل الريح قليلاً ثم عاد وارتفع مجدداً هادراً بقوة ثم خفت مرة أخرى. وبينما كان صوتها يتلاشى، سمع صوت ممتزج بهمسات المحيط، بدا وكأنه أحد أصوات الريح يطلق الجملة المنذرة بالسوء نفسها: «احـذر بطش غوينوديو» تبادل الثلاثة النظرات كأنهم يتساءلون عما إذا كان ما قد سمعوه حقيقة أم لا؟

سألت آنغاراد بعد فترة: «ألم تسمع صوتاً؟».

رد إيلفين: «هو الصوت نفسه الذي سمعته من قبل. والذي يقول: احذر بطش غوينوديو». أسرع تايثرن ليتفقد السور، بينما أصاب آنغاراد الذهول والخوف، فاستندت إلى ركن من القاعة. كان إيلفين مبهوراً ومضطرباً ومسحوراً بها.

في هذا الوقت تحرك بعض النائمين على الأرض حركات مضطربة وأطلقوا بعض الصراخ.

Twitter: @ketab_n

عندما عاد تايثرن، سأله إيلفين: «من أين أتى الصوت الذي سمعناه آنفاً؟ هل كان صرخة نائم ثمل؟ أم تهيؤات واهمة؟ أم أنه تحذير حقيقي من العوامل الجوية القاسية؟».

أجابت آنغاراد: «من المؤكد أنه ليس صوتاً من هذا العالم، وليس مجرد تهيؤات، لأننا جميعاً سمعنا: احذر بطش غوينودو. وطالما شعرت بالخوف من العواصف في المد الربيعي وهي تجتاح حقول بوتوم هاندرد».

قال تايثرن: «أدعو الله ألا تفعل ذلك الليلة».

سأل إيلفين: «هل يمكن أن يحدث شيء خطير؟».

رد تايثرن: «أعتقد ذلك، بسبب التصدع الذي رأيته ولشدة عصف الريح».

خيم الصمت مجدداً على الثلاثة، فسمعوا من جديد عويل الرياح، وهدير الأمواج المتعالي مع ارتفاع المد المقترب، الذي كان يتصاعد ويصخب بشكل وحشي ينذر بالخطر. إلى أن خيّل إليهم أن الإعصار قد حشد قوته الرهيبة في لحظة واحدة وفجرها على الشاطئ. وبعد لحظة، دوى صوت اصطدام هائل. فالبرج الذي تنغرز أساساته في البحر، قد

Twitter: @ketab_n

أوهنته الأمواج، وألقت العاصفة به بقوة في المياه جارفة معه جزءاً من البناء الأساسي للسد، كاشفة بياض الحطام لشدة حلكة منتصف الليل.

اندفعت الرياح إلى داخل القاعة، مبددة ضوء المصابيح، قاذفة الأقفال الرمادية وعباءات وصيفات الأميرة، ومبعثرة الأغطية الخفيفة، ومتلاعبة بخصلات شعر آنغاراد السوداء الطويلة.

ومع دوي أصوات تحطّم البرج وصرخات النساء، هب النيام من سباتهم محدّقين بدهشة السكارى، وقام سايذن عن كرسيه مترنحاً، مستنداً إلى إحدى الدعامات، ونظر إلى البحر من خلال الجدار المتصدع بعيون زائغة بلهاء لشدة المفاجأة. ثم نظر إلى ابنته وإلى إيلفين وتايثرن، وإلى أفراد أسرته. وكان كلما أطال النظر تضاءل وضوح الرؤية، وكلما أمعن في التأمل قلّ فهمه لما يحدث. شعر من كثب باندفاع الريح، ورأى زبد الأمواج الأبيض. وأحس بالدوار لفرط الهدير الذي يخترق أذنيه. فبقي طويلاً من دون حراك، مستنداً إلى الدعامة، محدقاً في الشقوق بنظرة ثابتة محملقة خالية من أي تعبير.

سأل إيلفين: «ماذا سيحلّ بالنائمين في بوتوم هاندرد، المعتمدين على يقظة سايذن؟».

Twitter: @ketab_n

أجاب تايثرن: «نستخدم نيران المنارة لتحذيرهم، في حال وجدنا وقوداً على قمة البرج الموجودة على اليابسة». سأل إيلفين: «لقد تم إلغاء ذلك أيضاً. صحيح؟».

أجابت آنغاراد: «كانت تلك مسؤوليتي». أخذ تايثرن مشعلاً ونزل في اتجاه البرج الشرقي. وبعد قليل شاهد الموجودون في القاعة المحطمة السماء تحمرّ من جراء تطاير ألسنة النار التي بددت ظلمة الأمواج الكثيفة المتكسّرة.

ثم حدث صخب غير مألوف فامتزج بهدير الأمواج. هرع تايثرن ليستطلع الأمر: كل شيء قد انتهى. لقد تحطم السد، وأخذت أمواج المد العاتي تندفع من خلال الشُقوق، ثم انهار جزء آخر من القصر في وسط الأمواج. وتحت ضوء القمر الباهت، ووهج النار المتقدة في المنارة، شاهدوا سيلاً متدفقاً من البحر باتجاه السهل متغلغلاً تحت جدران القصر، الذي استمر آخذاً في الانهيار في المياه وانهارت معه أجزاء السد القريبة من التصدعات.

صرخ سايذن: «دعوني أرى العدو الذي فعل بنا هذا».

Twitter: @ketab_n

أجابه إيلفين: «ليس ثمة عدو سوى البحر الذي تركت المكان فريسة له بجنونك وسكرك وإهمالك. فكر إن استطعت بما يحدث الآن في السهل. إن العاصفة تطغى على استغاثات ضحاياك، لكن لعنات الهالكين ستحل عليك». عاد سايذن إلى الصياح: «دعوني أرى العدو، سوف ألاقيه بسيفي» وأخذ يطوّح بسيفه فوق رأسه.

رد عليه إيلفين: «لا عدو سوى البحر الذي لا يجدي سيفك في قتاله». سأل سايذن: «من الذي يجرؤ على القول إن ثمة عدواً لا ينفع سيفي في قتاله؟ سوف أبرهن لك العكس». ثم اندفع إلى حيث السيل وهو يلوح بالسيف. صرخت آنغاراد باكية: «آه يا أبي الشقيّ!». وغطت وجهها بيديها، ووضعت رأسها على كتف إحدى وصيفاتها.

قال تايثرن: «يجب أن نغادر القصر، وإلا سندفن تحت ركامه. وليس لنا سوى ممر واحد آمن على امتداد قمة السد، هذا إذا كان لم ينفصل تماماً بعد عن اليابسة، وإذا استطعنا المحافظة على توازننا في أثناء اجتيازه في هذه العاصفة.

هيا دعونا نذهب. فالجدران تذوب في المياه كقطع الثلج. بعدما أفاقت آنغاراد من صدمة موت أبيها، تنبهت إلى الخطر

Twitter: @ketab_n

المحدق بهم. وقد دفعتها روح الأنثى الويلزية اليقظة والنشيطة في مواجهة الهلاك مع وصيفاتها إلى بذل قصارى جهدهن للنجاة بحيواتهن، متبعات نصيحة إيلفين وتايڤرن، وسلّحن أنفسهن بحراب استللنها من على الجدران.

قاد تايڤرن الجميع، ضارباً الأرض برأس حربته، ومستنداً إليها في وجه الريح، وتبعته آنغاراد ثم إيلفين ثم وصيفاتها فالحاسر المرافق، وسار خلفهم السقاة، وترنح وراءهم من كان قادراً على الحراك من السكارى.

أثناء سيرهم، واجهوا سواد العاصفة الرهيبة وتكسّر الأمواج العاتية، تحت ضوء القمر الشاحب الذي يكاد لا يرى، واندفاع المياه المتزايد على التل. كان ضوء المنارة ينعكس عليهم من الخلف: فرأوا الأمواج تدمر جانب السد وتكاد تحطمه تحت أقدامهم، وترش رذاذها المتطاير فوق رؤوسهم. لكنهم استطاعوا أن يثبتوا في وجه الرياح بأن يغرزوا حرابهم في الأرض أثناء السير.

لم يكونوا قد ابتعدوا كثيراً عن القصر عندما بدأت الريح تهدأ بعض الشيء. كان القمر يرنو إليهم من حين إلى آخر من بين الغيوم كاشفاً مشهد السهل الكئيب المغمور بمياه الفيضان، ملوناً الأمواج الغاضبة بلونه الفضي، متلألئاً على الجبال البعيدة،

Twitter: @ketab_n

مظهراً لهم طول الممر المنعزل الذي يسلكونه، المترامي في مساره الشاذ كشريطة سابحة وسط أمواج البحر.

كان الصباح قد انبلج قبل أن يصلوا إلى بر الأمان، وكشف لهم ضوء النهار عن فظاعة الكارثة: كانت الأمواج المزبدة تغطي السهول الخصبة، مورد رزق سكان تلك المنطقة التي كانت مزدهرة.

تمكن تايثرن وإيلفين من إنقاذ قلة من السكان الذين كانوا في القصر، فيما تمكنت قلة أخرى من الهرب قبل فوات الأوان، مهتدية بضوء المنارة، إلى مناطق آردودو وإريري الجبلية.

وكانت أبردوفري هي أقرب قرية إلى مملكة غوينثو الغارقة. وإذا وقفت على الشاطئ ساعة الغسق هناك، ستسمع أحياناً رنين أجراس قريبة وبعيدة، قرعها منخفض وعذب كنداء للصلاة، أو كابتهاج بالنصر، منبعثاً من إحدى كنائس غوينثو الراقدة تحت المياه، وهي أجراس أبردوفري التي تحكي الأغنية عنها.

Twitter: @ketab_n

زيارة إيليدير إلى أرض الجن

في بلد المعابد المحطمة والصخور المتناثرة التي تعرف أيضاً باسم «دوسلاند»[1] عاش في قديم الزمان صبي يدعى إيليدير، وكان والداه يتمنيان أن يصبح كاهناً في المستقبل. لذلك كانا يرسلانه يومياً إلى رهبان «القديس داوود»[2]، ليكتسب العلم الكنسي. لكن المشاغب الصغير كان يفضل اللعب بالعجلات والكرة على الدراسة، وينسى بسرعة كل ما يتعلمه.

في بادئ الأمر عمد الرهبان إلى النصيحة، ولفتوا نظره برفق في مناسبات عدة. لكن إيليدير لم يرعوِ، فلم يعد يمرّ درس من دون تعرّضه للتأنيب والعقاب. لم تزد صفعات الرهبان فحسب بل أصبحت أكثر عنفاً وقسوة، حتى أصبح الولد عاجزاً عن تحمل المزيد.

(1) Dewisland: بلدة تقع في شمال مقاطعة بمبروشكاير في ويلز (م).
(2) ديوي أو القديس داوود هو شفيع ويلز ويحتفى به سنوياً في الأول من مارس وهو التاريخ المفترض لموته، ويعتقد أنه ولد في بداية القرن الخامس عشر وتوفي في نهايته (م).

Twitter: @ketab_n

ذات يوم، وحينما كان لا يزال في الثانية عشرة من عمره، قرر الهرب بعيداً. وكان كلما ازداد ابتعاده ازداد شعوره بالسعادة. ثم أخذ يبحث عن مخبأ مناسب، مدركاً أنهم سيبحثون عنه. إلا إنه ظل غير قادر على العثور على مكان يشعر فيه بالأمان لفترة طويلة. وانتهى به المطاف في نهر يخفي تحت ضفته المجوفة مخبأً جميلاً ومناسباً، لا يتوقع أحد وجوده فيه. تسلل إلى داخل الفجوة، ونام تلك الليلة نوماً عميقاً، كصبي صغير أرهقه الدرس والعمل.

حينما استيقظ في اليوم التالي، أدرك أن مخبأه رغم روعته لخلوّه من الكتب والمجلّدات، له مساوئه: أولها عدم وجود ما يؤكل أو يشرب فيه. وهذه مشكلة كبيرة لصبي ينمو بسرعة وذي شهية مفتوحة.

ولم يكن الخروج من المخبأ آمناً، لأنه عندما رفع رأسه فوق ضفة النهر، شاهد رجالاً ونساءً يبحثون عنه في كل مكان. أخذ جوعه يزداد أكثر فأكثر. وشعر بأن الوقت يمر ببطء. كان ذلك أطول يوم عرفه إيليدير في حياته، فقد كانت الشمس تحبو ببطء في السماء، وبدا كأن دهراً قد انقضى قبل أن تغوص

Twitter: @ketab_n

أشعتها الحمراء في مياه خليج «سانت برايد»[1]. لكن الفتى لم يجرؤ على الخروج بعد المغيب لأن الليل هناك كان أسوأ من النهار، ووجد نفسه عاجزاً عن النوم، لأن إغماض العينين يستحيل حين يكون الجوع مستبداً في النفس. وكان كلما طال سهاده ازداد جوعه. ثم عزم على العودة إلى بيته حالما يسمح له النور بالاهتداء إلى طريقه.

كان يفضل أن يجلد جلدتين من أبيه، الذي لم تكن أساليبه مختلفة عن أساليب الرهبان، على وحش الجوع الذي ينهش أحشاءه. وعندما بدأت ظلمة الليل تتبدد، نهض، قاصداً العودة، لكنه فوجئ بقزمين ظهرا أمامه قائلين: «تعال هنا، سوف ندلك على أرض مليئة بالبهجة وأنواع التسلية المختلفة». فشعر أن جوعه قد زال، لشدة فضوله، ومعه زالت أيضاً الرغبة بالعودة إلى تلك الدروس البغيضة وأنواع الضرب المبرّح.

نهض وانطلق مع القزمين إلى حيث وعداه. في البداية عبروا ممراً تحت الأرض يغمره ظلام حالك، وتضرب في داخله تيارات الهواء المتعاكسة، لكنهم خرجوا منه إلى أرض رائعة الجمال تتدفق فيها الجداول وتزينها المروج الخضراء والهضاب المشجرة.

(1) خليج صخري في غربي مقاطعة بمبروشكاير في ويلز (م).

Twitter: @ketab_n

قاد القزمان إيليدير إلى مكان رائع ساحر، فسألهما: «ماذا يدعى هذا المكان؟». أجاباه: «إنه قصر ملك الجن». دخل الثلاثة، فوجدوا الملك متربعاً على عرش بهي محاطاً بحاشيته. والجميع في ملابس أنيقة. سأل الملك الفتى عمن يكون ومن أين أتى. فأخبره إيليدير بقصته. قال الملك: «سوف تكون مرافقاً لابني». ثم أشار إليه بالانصراف. فرافقه ابن الملك الذي كان يماثله سناً، وخرجا من القصر.

بدأت مرحلة سعيدة في حياة إيليدير: صار يرافق ابن الملك ويشاركه ألعابه ورياضاته. وكان الجميع هناك صغار الحجم لكنهم ليسوا مشوّهين. ذلك أن أبدانهم كانت حسنة التناسق، وبشراتهم بيضاء، وشعورهم كثيفة طويلة تنسدل فوق أكتافهم كالنساء، وكانوا يمتطون جياداً صغيرة، بحجم الكلاب السلوقية تقريباً، ولا يأكلون اللحوم أو الأسماك بل يقتاتون بنوع من الطعام مصنوع من الحليب، مع قليل من الزعفران.

كانوا لا يحلفون، لكنهم أيضاً لا يكذبون، فهم لا يكرهون شيئاً كالكذب. كانوا يهزأون من البشر، من صراعاتهم وحماقاتهم وغرورهم وتقلباتهم وخياناتهم وأكاذيبهم. ولا يعبدون أحداً سوى الحقيقة.

Twitter: @ketab_n

كانت البلدة التي يسكنونها جميلة على ما سبق الوصف إلا أنها امتازت بأمر غريب، فالشمس لا تشرق عليها البتة، والغيوم تغطي السماء باستمرار، جاعلة حتى النهارات تبدو مظلمة. أما الليالي فكانت أشد ظلاماً، فلا قمر أو نجوم تجود ببعض الضوء.

وبعد مدة من الوقت بدأ إيليدير يحن إلى أمه، وراح يتوسل كي يُسمح له بالذهاب لزيارة بيته القديم. أعطاه الملك الإذن بذلك، وقاده الرجلان اللذان أحضراه إلى مملكة الجان، عبر الممر السري إلى أرض البشر، ثم إلى كوخ أمه، حاجبينه عن الأنظار طوال الطريق. كانت فرحة أمه برؤيته لا توصف، لأنها ظنت أنه قد ضاع منها إلى الأبد. ثم راحت تمطرهُ بالأسئلة، فأخبرها بكل شيء. فتوسلت إليه أن يبقى معها، لكنه كان قد وعد ملك الجن بالعودة فغادر الكوخ بعد أن جعلها تقطع عهداً بألاّ تخبر أحداً بمكانه ومع من يقيم.

تكررت بعد ذلك زياراته لأمه، حيناً عَبْر الطريق التي جاء منها في المرة الأولى، وحيناً آخر عبر طرق مختلفة. في البداية لم يُسمح له بالذهاب وحده، لكن حين وجده الجن دائم الوفاء بوعده، صاروا يسمحون له بالذهاب من دون مرافق.

ذات يوم، وحينما كان إيليدير مع أمه، أخبرها عن الكرات

Twitter: @ketab_n

الصفراء الثقيلة التي كان يلعب بها مع ابن الملك. اعتقدت الأم أنها مصنوعة من الذهب، فقالت لابنها: «حين تأتي في المرة القادمة أحضر معك واحدة منها». رد الصبي: «ليس من الصواب أن أفعل ذلك». فسألته: «وما يضيرك لو فعلت ذلك؟»، أجاب: «لقد طُلب مني ألا آخذ شيئاً معي إلى الأرض». قالت الأم: «يملك ابن الملك مئات الكرات، وإذا نقصت واحدة فلن يفتقدوها». فوافق الابن بعد تردّد.

وبعد أيام، أخذ إيليدير إحدى الكرات، معتقداً أن أحداً لا يراه، وانطلق إلى كوخ أمه. في البداية كان يمشي ببطء، لكنه أخذ يسرع الخطى كلما اقترب من آخر الممر. لدى خروجه منه، ظن أنه يسمع وقع خطى صغيرة وراءه، فبدأ يركض، والتفت إلى الخلف، فرأى رجلين صغيرين يركضان في إثره على وجهيهما تبدو علامات التجهم. انطلق يجري بأقصى سرعته وتبعه الرجلان مسرعين، لكنه سبقهما ووصل إلى الكوخ. وعند العتبة تعثر ووقع أرضاً، فتدحرجت الكرة الذهبية من بين يديه واستقرت بين قدمي أمه. في تلك اللحظة قفز الرجلان الصغيران من فوقه، وهو مستلق باسطاً ذراعيه وساقيه، أمسكا بالكرة وهرعا إلى خارج المنزل، بعدما بصقا عليه وشتماه بكلمات نابية

Twitter: @ketab_n

من مثل: «لص، خائن، بشري كاذب» وغيرها من الشتائم. عاد حزيناً إلى ضفة النهر حيث فتحة الممر السري، يغمره الشعور بالأسى والعار، مصمماً على الذهاب إلى أرض الجن ليبلغهم مدى أسفه لإصغائه إلى النصيحة السيئة التي أشارت بها والدته، إلا أنه لم يعثر على فتحة ينفذ من خلالها، مع أنه بحث مراراً وتكراراً، ولكن من دون أن يهتدي إلى طريق يقوده إلى تلك البلدة الجميلة.

وبعد مدة من الوقت عاد إلى الدير، وحاول إطفاء اشتياقه للأرض المسحورة بالتفاني في طلب العلم. وفي نهاية المطاف أصبح راهباً، وسَرت قصة زيارته للأرض المسحورة، بين الناس، فكانوا يأتون إليه ويسألونه عن أرض أولئك المخلوقات الصغيرة، لكنه لم يستطع مرة أن يتكلم عن ذلك من دون أن يذرف الدموع.

وعندما تقدم العمر بإيليدير، صودف أن دايفيد أسقف دير القديس داوود الثاني قَدِمَ لزيارته، فسأله عن أخلاق الكائنات الصغيرة وعاداتهم. وكان مهتماً قبل كل شيء بمعرفة اللغة التي يتكلمونها. فأخبره إيليدير عن بعض الكلمات التي يتسخدمونها، فمثلاً عندما يطلبون الماء يقولون: «أودر أو درورن». وعندما

Twitter: @ketab_n

يطلبون الملح يقولون: «هالغاي أو درم». علم الأسقف أن كلمة ماء باليونانية هي «EA» وكذلك سأل عن كلمة ملح. فاكتشف أن لغة الجان تشبه إلى حد كبير لغة اليونانيين القدماء.

Twitter: @ketab_n

لاوري دافيد تكسب محفظة من الذهب

كانت لاوري دافيد قد وصلت لتوّها إلى هافوديد بريثيون للعناية بسيدة مريضة، عندما جاء رجل حسن المظهر، يمتطي حصاناً أصيلاً، ووقف عند الباب قائلاً بصوت عال: «هل لاوري دافيد موجودة؟»، أجابت بصوت خجول: «نعم يا سيدي». قال الرجل: «إذن تعالي معي على الفور». احتجت لاوري قائلة: «لكن لدي واجب هنا عليّ القيام به».

لكن الرجل الأنيق كرّر بنبرة آمرة: «تعالي معي على الفور». فلم تجرؤ لاوري على الرفض.

امتطت الحصان خلفه وانطلقا كالسنونو الطائر، عبر «كوملان» نزولاً إلى «نانت آر آران»، وفوق «الفايد» إلى «كوم هافد روفذ»، قبل أن تتمكن المرأة من أن تقول: «أوه!».

عندما وصلا إلى «كوم هافد روفذ»، شاهدت لاوري أمامها بيتاً جميلاً فخماً مضاءً بمصابيح لم ترَ مثلها من قبل. وعندما دخلت

Twitter: @ketab_n

برفقة الرجل الأنيق استقبلهما حشد من الخدم بأزيائهم الرائعة.

أمر الرجل قائلاً: «أرشدوها إلى غرفة النوم». فاقتيدت لاوري عبر القاعة الكبيرة إلى غرفة نوم تفوق برفاهيتها ورونقها كل ما حلمت به في حياتها ولم تستطع تحقيقه. وكانت سيدة المنزل هناك تنتظرها لتعتني بها.

قامت لاوري برعايتها بمهارتها المعهودة، وبقيت معها حتى شفيت السيدة تماماً. وكانت تلك الأيام الأكثر متعة في حياة لاوري. كانت البهجة تخيّم على الجميع ليلاً نهاراً، والغناء والرقص لا يتوقفان. وعندما حان وقت رحيلها غمرها الحزن. وقدّم إليها الرجل الأنيق محفظة كبيرة ثقيلة، وأمرها بألاّ تفتحها قبل أن تصل إلى بيتها. ثم أوكل أحد الخدم بمرافقتها وإعادتها إلى بيتها بالطريقة التي جاءت بها.

وعندما وصلت إلى البيت وفتحت المحفظة، تملكتها الفرحة، فقد كانت مملوءة بالذهب. وهكذا عاشت لاوري سعيدة بفضل هذا المكسب حتى آخر حياتها.

Twitter: @ketab_n

استبدال الأطفال[1] في ليانفابون

في منطقة ليانفابون، عاشت أرملة في مزرعة تدعى بيرث غرون، ولها صبي صغير هو عندها أغلى من عينيها. كان مصدر فرحها الوحيد، وكانت تخاف عليه من النسيم، كما يقول المثل. وكان برووديري، وهو الاسم الذي أطلقته عليه أمه، ولداً رائعاً بالنسبة لمن هم في سنه. في تلك الأيام كانت منطقة ليانفابون تعج بالجنيّات في الليالي المقمرة. كن يبقين المزارعين سهارى حتى صياح الديك فجراً، بسبب الموسيقى التي يعزفنها. أما في الليالي المظلمة، فكنّ يتسلين بالتلاعب بالرجال فيستدرجنهم خلف أضواء كاذبة إلى مستنقعات موحشة. وفي النهار يتحايلن على الناس الذين لا يأخذون أقصى درجات الحيطة والحذر.

سمعت الأرملة أن الجنيات يخطفن الأطفال من أسرّتهن. ويمكنكم أن تتصوروا مدى حرصها على كنزها الصغير. كانت

(1) Changeling: في قصص الجن هو أن تأتي الجنيات وتخطف طفلاً بشرياً وتضع في مكانه طفلاً قبيحاً من الجن (م).

Twitter: @ketab_n

تكره أن يبتعد عن ناظريها ليلاً أو نهاراً. وإن حصل ذلك رغماً عنها تظل مبتئسة حتى تعود إليه وتجده بخير.

ذات يوم كان الطفل نائماً، فسمعت الأرملة الأبقار تخور على نحو محزن كأنها تتألم بشدة. في البداية خشيت الخروج لمعرفة ما يحدث، إذ لا أحد غيرها في البيت يمكن أن يرعى الطفل. ثم ازداد الخوار المتألم أكثر فأكثر، فتملكها الرعب. هرعت إلى الخارج لاستطلاع ما يجري، ونسيت أن تشبك الملاقط التي تغطي السرير.

وصلت إلى حظيرة الأبقار، ولشدة دهشتها لم تجد ما يبعث على الارتياب. كانت الحيوانات تجتر طعامها بهدوء، ونظرت إليها بوداعة كأنها تعبر عن مفاجأتها بحضور الأرملة وتتساءل عن السبب الذي دعاها إلى ذلك في وقت غير معتاد.

أدركت حينها أنها وقعت ضحية حيلة، فركضت إلى البيت بأقصى ما تستطيع قدماها، واتجهت إلى سرير طفلها. كانت جد خائفة من أن تجده خالياً من ابنها، وعندما انحنت فوقه، وجدت صبياً صغيراً ناداها بـ: «أمي». نظرت إليه بتمعن. كان يشبه بروديري تماماً، لكن شيئاً فيه أنبأها بأنه ليس ابنها. فقالت بتردد: «أنت لست ولدي». قال الصغير: «أنا ابنك، ماذا تقصدين بقولك هذا يا أمي؟».

Twitter: @ketab_n

لكن إحساساً ظل يساورها بأنه ليس ابنها. ومع مرور الأيام تأكدت من صدق أحاسيسها. فقد أصبح الصبي سريع الغضب دائم القلق، على عكس بروديري الذي كان وديعاً هادئاً. كما أن الصبي هذا لم ينم قطّ لمدة سنة كاملة.

ومن ناحية أخرى فقد كان الصبي ينمو ويكبر بسرعة، وفوق كل ذلك يزداد قبحاً، بينما كان بروديري كلما كبر ازداد وسامة. هذا ما كانت تظنه على الأقل. لم تعرف الأرملة ماذا بوسعها أن تفعل. وكان في منطقة ليانفابون رجل مشهور بقدرته على تفسير الأمور الغامضة، وقد اكتسب هذه المهارة جراء إقامته في مكان يدعى «قصر الليل». كان هذا القصر قد شُيّد من حجارة كنيسة ليانفابون، ويقال إنه مسكون بالجن. وقد حاول قبله الكثير من الرجال الإقامة في القصر، لكنهم كانوا يُجبَرون على تركه بسبب تحرّش الأشباح بهم. أما هذا الرجل فقد تمكن من الصمود في القصر وعاش فيه بسلام، مما شكّل دليلاً قوياً بنظر السكان على أنه يملك شيئاً من السيطرة على قوى الظلام.

ذهبت الأرملة إلى الرجل الحكيم وعرضت عليه مشكلتها. وبعد الاستماع إليها قال: «إن اتبعت تعليماتي بقناعة ودقة فسوف أستطيع مساعدتك. غداً عند الظهيرة، خذي قشرة

Twitter: @ketab_n

بيضة، وخمري فيها بعض الجعة. واعلمي أن الصبي يراقب ما تفعلين، لكن احرصي على عدم إثارة انتباهه. وإذا سألك عما تقومين به، قولي إنك تخمّرين بعض الجعة للحصّادين. واستمعي بدقة لما سيقوله عندما يسمع منك ذلك، ولكن تظاهري بعدم فهمه. وبعد أن تضعيه في فراشه غداً ليلاً، تعالي لتخبريني بما جرى».

عادت الأرملة إلى البيت. وفي ظهيرة اليوم التالي اتبعت تعليمات الرجل، حيث أخذت قشرة بيضة، وحضّرت ما يلزم لتخمير الجعة، فوقف الصبي بالقرب منها يراقبها كما تراقب الهرة فأرة. وبعد قليل سألها الصبي: «ماذا تفعلين يا أمي؟»، قالت: «أخمّر بعض الجعة للحصّادين يابني». فقال الصبي بهدوء مخاطباً نفسه:

«أنا اليوم عجوز جداً

كنت حيّاً قبل مولدي

أذكر تلك البلوطة

ثمرة البلوط في الأرض

Twitter: @ketab_n

لكنني لم أر قط أنه ببيضة دجاجة

تخمر الجعة للحصّادين».

سمعت الأرملة قوله، لكنها تظاهرت بعدم الفهم، وسألته: «ماذا قلت يا بني؟»، قال: «لا شيء يا أمي». ثم استدارت إليه ورأت أنه غاضب جداً، وقد جعلت أمارات الغضب من النظر إلى وجهه أمراً مثيراً للاشمئزاز.

في تلك الليلة وبعد أن وضعته في سريره، ذهبت الأرملة إلى قصر الليل، كما أمرها الحكيم، وحالما دخلت، سألها: «هل استطعت حفظ ما قاله لكِ؟». أجابت الأرملة: «لقد خاطب نفسه بهدوء، وأنا متأكدة من أن ما قاله هو:

«أنا اليوم عجوز جداً

كنت حياً قبل مولدي

أذكر ثمرة البلوط في الأرض

لكني لم أرَ قط أنه ببيضة دجاجة

تخمّر الجعة للحصّادين».

Twitter: @ketab_n

قال الحكيم: «هذا جيد. لقد نفذت تعليماتي بدقة. وأظن أنني أستطيع مساعدتك. سوف يصبح القمر بدراً خلال أربعة أيام، ويجب أن تذهبي عند منتصف الليل إلى حيث تتقاطع الطرق الأربعة فوق مخاضة[1] الجرس، واختبئي في مكان تستطيعين منه رؤية كل شيء قد يأتي عبر أي من الطرق الأربعة، من دون أن يكون باستطاعة أحد رؤيتك، ومهما كان من أمر، فلا تتحركي ولا تصدري أي صوت. وإن فعلت ستحبطين كل خطتي، وسوف تكون حياتك في خطر. ثم تعالي إلي في اليوم التالي لتخبريني بما شاهدت».

وعند منتصف الليلة المنتظرة، اختبأت الأرملة خلف أَجَمة قرب تقاطع الطرق، حيث بإمكانها أن ترى كل شيء قد يأتي عبر الطرق الأربعة، من دون أن تكون بادية للعيان. مر وقت طويل من دون أن ترى أو تسمع شيئاً. ثم أطل القمر ساطعاً وخيّم صمت منتصف الليل الكئيب على كل شيء. ولكن بعد قليل غطت غيوم سوداء القمر، وسمعت الأرملة القلقة أصوات موسيقى خافتة من بعيد. ثم اقتربت الأصوات أكثر فأكثر، فيما الأرملة تنصت بانتباه بالغ.

(1) المخاضة هي المكان الطبيعي أو المصطنع الذي يمكن عبور النهر عبره (م).

Twitter: @ketab_n

وبعد قليل أصبحت الأنغام قريبة جداً. ثم ظهر موكب من الجنّيات، يسرن على إحدى الطرق. كن مئات من الجنيّات يغنين أعذب ألحان التي سمعتها في حياتها، حتى اعتقدت أنه يمكنها الاستماع إليهن إلى آخر العمر. وعندما أصبح الموكب مقابلاً تماماً لمخبئها، أطل القمر من خلف غيمة سوداء، وفي الضوء الساطع البارد الذي غمر الأرض، رأت مشهداً حول متعتها إلى ألم مرير، وجعل قلبها يكاد يخرج من صدرها لشدة خفقانه. كان ابنها الحبيب يمشي بين جنيّتين، وكادت تنسى نفسها تماماً وتقفز بين الجنيّات لتنتزع حبيبها منهن، لكنها تذكرت في الوقت المناسب تحذير الحكيم بأنها إن فعلت ستفشل الخطة وستكون حياتها في خطر. وبجهدٍ بالغ سيطرت على نفسها، ولم تتحرك، أو تصدر أي صوت.

حين مرَّ الموكب، وتلاشى صوت الموسيقى في الفضاء تسللت من مخبئها، وعادت إلى بيتها، لكن قلبها كان مثقلاً بالشوق إلى ابنها الضائع منها، وفي تلك الليلة لم يغمض لها جفن.

وفي الصباح الباكر، ذهبت إلى الرجل الحكيم الذي كان ينتظر قدومها، وحالما دخلت، لاحظ من نظراتها أنها لابدّ رأت ما أزعجها. فأخبرته الأرملة بما شاهدت عند تقاطع الطرق. فقال

Twitter: @ketab_n

مجدداً: «حسناً، إذا اتبعتِ تعليماتي بدقة وقناعة، فسوف أستطيع مساعدتك». ثم أخرج كتاباً كبيراً ملفوفاً بجلد عجل، وفتحه، وانكب على قراءته طويلاً. وبعد تفكير عميق قال: «يجب أن تجدي دجاجة سوداء تماماً، ليس فيها ريشة بيضاء واحدة، أو ملوّنة بأي لون غير السواد. هل توقدين الخثّ[1] أم الحطب؟».

أجابت الأرملة: «بل أشعل الخثّ».

قال الحكيم: «بعد أن تعثري على الدجاجة، يجب أن توقدي حطباً وتشويها فوقه بريشها كاملة. وبعد ما تنضج ضعيها أمام النار، وأغلقي كل الممرات والثقوب في الحائط، واتركي الموقد وحيداً ومفتوحاً. وبعد ذلك تجنبي النظر إلى الصبي، لكن راقبي الدجاجة أثناء شيّها، ولا ترفعي عينيكِ عنها حتى تسقط آخر ريشة منها».

عزمت الأرملة على اتباع تعليمات الرجل الحكيم بإيمان ودقة، رغم استغرابها، تماماً مثلما كانت قد فعلت سابقاً. لكنها قاست كثيراً من تعب السير الطويل المضني حتى تمكنت من العثور على دجاجة سوداء ليس فيها ريشة واحدة بيضاء أو ملوّنة. زارت كل المزارع في ليانفابون حتى وجدتها.

(1) الخث: نسيج نباتي يستعمل وقوداً (م).

Twitter: @ketab_n

كانت تشعر بالمرارة المتزايدة، لأنها مجبرة على إخفاء امتعاضها من الصبي الصغير الذي احتل مكان ابنها. وعندما كان يناديها: «أمي» كانت تشعر بأن ذلك يفوق قدرتها على التحمل. ولم تستطع سوى التظاهر باللامبالاة حياله، رغم أن حجمه كان يصغر و قبحه وتجهمه يزدادان يوماً بعد يوم.

وبعدما عثرت على الدجاجة السوداء، أضرمت ناراً في الحطب، ولما توهجت شعلتها، دقت عنق الدجاجة ووضعتها كاملة أمام النار، ثم سدّت كل الثقوب في الجدران، تاركة الموقد وحده مفتوحاً، وراحت تراقب الدجاجة وهي تشوى. ناداها الصبي الصغير مرات، لكنها تجنبت النظر إليه رغم أنها أجابته. وبعد قليل أغمي عليها. وعندما أفاقت من إغماءتها رأت أن الريش قد سقط تماماً عن الدجاجة. ثم نظرت حولها في كل أنحاء المنزل فرأت أن الصبي قد اختفى، ثم سمعت أصوات موسيقى خارج البيت. تشبه تلك التي سمعتها عند تقاطع الطرق. وفجأة توقفت الموسيقى، وسمعت صبياً صغيراً ينادي: «أمي». هرعت إلى الخارج، ونظرت، فتصوروا من رأت؟ إنه ابنها الصغير الغالي، يقف على بعد خطوات منها. حملته بين ذراعيها ولفرط لهفتها كادت تخنقه بالعناق

Twitter: @ketab_n

والقبلات. ضحكت وبكت في آن واحد. وكانت سعادتها أكبر من أن توصف، وعندما سألته أين كان كل تلك المدة، لم يجد الصبي ما يقوله سوى أنه كان يستمع إلى موسيقى ساحرة. كان شاحباً، سقيماً، لكنه برعاية أمه المحبة تمكن من استعادة عافيته، وعاش معها السعادة من جديد.

Twitter: @ketab_n

لماذا صار التنين الأحمر رمزاً لويلز؟

جمع الملك فورتيجرن[1] مستشاريه الاثني عشر، ليستشيرهم في الخطوات التي يجب القيام بها بعد تعرضه للخيانة من قبل جيش «حَمَلَة السكاكين الطويلة». قال الحكماء: «أيها الملك إنه لمن الضروري أن تنكفئ إلى منطقة بعيدة، وتبني هناك حصناً ومدينة تحتمي فيهما وتدافع عن نفسك. إن الساكسونيين الذي استضفتهم، خونة، وهم يحاولون إخضاعك بمكرهم لك في حياتك، وإذا استطاعوا فسوف يستولون على كل المناطق الخاضعة لحكمك، فكيف سيكون موقفهم بعد وفاتك؟

أعجب الملك بهذه النصيحة، وسافر مع مستشاريه، إلى مناطق مختلفة في عدد من الأقاليم، بحثاً عن مكان مناسب لبناء القلعة. طال سفرهم وتشعبت اتجاهاتهم، لكنهم لم يجدوا

(1) شخصية أسطورية ويلزية، وبحسب الأسطورة حكم بريطانيا في القرن الخامس واستعان بالمستوطنين الألمان كمرتزقة للدفاع عن بريطانيا بعد رحيل الرومان وقد حشد هؤلاء المرتزقة أنفسهم وقاموا بخيانة فورتيجرن وجنوده وأحدثوا مقتلة شهيرة مستعملين سكاكينهم الطويلة، وحكاية هؤلاء ترمز في الثقافة الشعبية الويلزية للخيانة (م).

Twitter: @ketab_n

ضالتهم حتى وصلوا إلى جبال «إريري»[1] في «غويناث» وعلى إحدى قممها التي دعيت فيما بعد بـ «دينـاس فراون» وجدوا أخيراً المكان المناسب لبناء القلعة.

قال المستشارون للملك: «أيها الملك ابنِ المدينة في هذا الموضع، لأنك فيه ستكون بمأمن من أعدائك الهمجيين».

أرسل الملك في طلب الرجال من صناعيين ونجارين وبنائين، واستقدم معدات البناء المختلفة، إلا أنها اختفت جميعها في الليل، وعند الصباح لم يعثروا على شيء منها.

ثم استقدمت المعدات ثانية من كل الأماكن، لكنها أيضاً عادت واختفت ليلاً. ثم جلبوا المعدات للمرة الثالثة، ومجدداً لم يعثر لها على أثر في الصباح.

جمع الملك فورتيجرن مستشاريه، وسألهم عن سر ما يحدث. فأشاروا إلى أنه يجب العثور على طفل غير شرعي، وقتله، وريّ الأرض المخصصة للبناء بدمائه، وإن لم تفعل ذلك فلن تحقق هدفك أبداً».

(1) منطقة في شمال ويلز (م).

Twitter: @ketab_n

لم يستغرب الملك النصيحة، كما نستغربها نحن اليوم، ففي ذلك الزمن البعيد، لدى تشييد الابنية كانت ثمة طقوس وممارسات قاسية عنيفة تحدث، وفي بعض الأحيان، كانت تتم التضحية بكائن بشري لتروي دماؤه التربة المقرر البناء عليها. وفي أحيان أخرى كانوا يعمدون إلى دفن شخص حي في جدار بناء حديث، وفي الغالب يكون طفلاً صغيراً بريئاً.

راقت النصيحة للملك، وبعث رسلاً في أنحاء بريطانيا للبحث عن طفل غير شرعي. بحثوا طويلاً ولكن من دون جدوى. إلى أن قادهم بحثهم إلى حقل في «باسالغ»[1]، حيث كان بعض الصبية يلعبون الكرة. وكان من بينهم اثنان يتشاجران، فقال أحدهما للآخر: «أيها اللقيط، سوف ترى». استنتج الرجال الباحثون أنه الولد الذي طال انتظاره، فاقتادوه وأحضروه أمام الملك فورتيجرن.

وفي اليوم التالي، اجتمع الملك ومستشاروه وجنوده وأفراد حاشيته وصناعيوه ونجاروه وبناؤوه، لحضور مراسم إعدام الصبي. فسأل الصبي الملك: «لماذا أحضرني رجالك إلى هنا؟». أجابه الملك: «لأنك يجب أن تأتي، كي تخضب الأرض بدمائك التي سأبني عليها قلعتي. من دون ذلك فلن أتمكن من بنائها».

(1) منطقة تقع في الجانب الغربي من مدينة نيوبورت، في جنوبي ويلز (م).

Twitter: @ketab_n

قال الصبي: «من اقترح عليك فعل هذا؟»، أجاب الملك: «رجالي الحكماء». فقال الصبي: «استدعهم إلى هنا».

وعندما حضروا سألهم الصبي: «كيف عرفتم أن هذه القلعة لا يمكن أن تبنى إلا إذا تخضبت الأرض التي ستشيدونها عليها بدمائي؟ تكلموا بصراحة، من أرشدكم إلي؟». ثم استدار الصبي إلى ناحية الملك وقال له: «عما قريب سأبوح لك بكل شيء، لكنني أرغب في سؤال حكمائك، وأتمنى أن يجيبوا عن سؤالي ويعرفوا ما الشيء المخبّأ تحت هذه الأرض؟» لكن الحكماء عجزوا عن الجواب واعترفوا بجهلهم. عقب ذلك قال الصبي: «تحت الأرض ثمة بركة، هيا، تعالوا واحفروا». وعندما حفروا وجدوا البركة التي تحدث عنها الصبي. ثم التفت إلى الحكماء وسألهم مجدداً: «والآن أخبروني، ماذا تحوي البركة؟». لكنهم كانوا في غاية الخجل ولم يكن بإمكانهم الإجابة.

فقال الصبي للملك: «باستطاعتي أن أكشف لك ما يجهله الحكماء، ثمة مزهريّتان في البركة». بحث الرجال في البركة طويلاً ووجدوا أن ما قاله الصبي صحيح. عاد الولد وسألهم: «ماذا في المزهريتين؟». لم يجيبوا بالطبع. فقال: «إن فيهما خيمة، ستجدونها بمجرد أن تكسروهما». أمر الملك بكسرهما، فإذا

Twitter: @ketab_n

فيهما خيمة مطوية. عاد الصبي يسأل: «ماذا تحوي الخيمة؟»، ولما لم يجيبوا قال: «فيها ثعبانان، واحد أبيض اللون والثاني أحمر. افتحوا الخيمة». فانصاعوا لأوامره، وفتحوا الخيمة فإذا بثعبانين نائمين. قال الصبي: «انتبهوا جيداً لما سيفعله الثعبانان». بدأ الثعبانان يتعاركان حيث رفع الأبيض نفسه عالياً، وطرح رفيقه الأحمر في وسط الخيمة، ثم إلى طرفها، وكرّر ذلك ثلاث مرات. ثم استطاع الثعبان الأحمر الذي بدا أنه الأضعف، أن يستعيد قوته، ويطرد الثعبان الأبيض من الخيمة، فتوارى عن الأنظار، بعد أن طارده الثعبان الأحمر إلى حيث البركة.

ثم سأل الصبي الحكماء: «إلامَ يرمز هذا الفأل الرائع؟»، لكنهم اعترفوا مجدداً بجهلهم. فقال الصبي للملك: «سأكشف لك الآن معنى هذا اللغز: إن البركة ترمز إلى هذا العالم، والخيمة هي لمملكتك، أما الثعبانان فهما تنينان: فالتنين الأحمر هو من نصيبك، أما الأبيض فيرمز إلى الساكسونيين، الذين سيحتلون عدة مقاطعات من بريطانيا تمتد من شواطئ الشرق إلى شواطئ الغرب، وفي نهاية المطاف سينهض شعبك ويردون الساكسونيين إلى ما وراء البحر من حيث أتوا. لكن هلا رحلت عن هذا المكان؟ فإنه إذ لم يقيض لك فيه بناء قلعة، فعليك البحث عن بقعة أخرى تؤسس فيها مملكتك».

Twitter: @ketab_n

وبعد ما تأكد فورتيجرن من خداع مستشاريه السحرة، أمر بإعدامهم جميعاً، فحفرت القبور لهم في حقل مجاور، وعفا الملك عن الصبي، الذي اشتهر في ما بعد بالساحر العظيم «مورتم إيمروس»، أو «مرلين»[1] كما يسمى بالإنجليزية. وفي ما بعد سمي الجبل الذي أثبت فوقه عن قواه الخارقة جبل «دينـاس إيمروس» بدلاً من «نيناس فاراون».

ظل الصبي هناك زمناً طويلاً إلى أن انضم إليه أوريليوس أمبروزيوس الذي أقنعه بالرحيل معه. وعندما أوشكا على الانطلاق، وضع مرلين كل ثروته في مرجل ذهبي، خبأه في كهف، أغلقه بصخرة دحرجها إلى مكان فتحته، وغطاها بالتراب والعشب الأخضر. فكان مستحيلاً على أحد أن يجدها. وكان ينوي أن يجعل هذه الثروة ملكاً لشخص مميز من أبناء أجيال المستقبل. وسيكون الوريث هذا شاباً ذا شعر أشقر وعينين زرقاوين، وحين يأتي إلى دينـاس، سوف يقرع جرساً يقوده إلى داخل الكهف، الذي سينفتح من تلقاء نفسه حالما تطأ قدما ذاك الشاب أرضه.

(1) إحدى أشهر الشخصيات الأسطورية الويلزية وهو ساحر ولد من عذراء وشيطان لكنه ورث قوة أبيه دون شره، والحكاية الواردة هنا هي الشائعة عن أصل ولادة مرلين كساحر عظيم، وهو الذي تنبأ بمجيء الملك آرثر وبفرسان الطاولة المستديرة وما إلى ذلك (م).

Twitter: @ketab_n

لين كوم لوتش[1]

أسفل جبل «بن بي فان»، القمة الرئيسية في سلسلة جبال «بريكون بيكون»، ثمة بحيرة تدعى «لين كوم لوتش»، ينحدر فوقها جرف مشؤوم، يحوي أوكار غربان ناعقة، وهي الطيور الوحيدة التي تغامر بالإقامة قرب مياه البحيرة المظلمة.

في الماضي البعيد كان ثمة باب في صخرة صلبة يُفتح مرة كل سنة في مهرجان الأول من مايو، يفضي إلى ممر يقود إلى جزيرة صغيرة في وسط البحيرة. لكن تلك الجزيرة لم تكن تظهر للواقف على الشاطئ. وكانت الجنيّات يستقبلن من يجازف بعبور الممر السري في مهرجان الأول من مايو، استقبالاً رائعاً لطيفاً يوازي روعة جمالهن. كن يسلين الزائر بفاكهة شهية وموسيقى رائعة. ويكشفن له عن أحداث ستحصل في المستقبل. كان شرطهن الوحيد على الضيف ألا يأخذ معه أي شيء من الجزيرة إلى الخارج، لأنها جزيرة مقدّسة.

(1) بحيرة تقع في مقاطعة برويز الريفية في وسط ويلز، وتقع هذه البحيرة أسفل جبل بن بي فان (م).

Twitter: @ketab_n

في إحدى هذه الزيارات السنوية وفيما يهم بمغادرة الجزيرة، قام زائر شرير بوضع زهرة في جيبه. لكن سرقته تلك لم تعد عليه بالخير، فحالما وصل هذا الخارج عن قانون الجنيّات إلى الأرض، فقد عقله، وراح يهذي، وظل كذلك طيلة حياته. لم تأسف الجنيّات على ما سوف يصيبه، وقمن بصرف بقية الضيوف بلطفهن المعهود، وأغلقن باب الصخرة كالعادة، لأنهن كن يشعرن باستياء شديد. وفي السنة الثانية في الأول من مايو، لم يهتدِ الراغبون في زيارة الجنيّات إلى الباب الذي يقودهم إلى الجزيرة، وظل الأمر كذلك منذ تلك الواقعة وحتى يومنا هذا.

وبعد بضع مئات من السنين، فكر سكان الجوار بخطة لإفراغ البحيرة ليروا ما إذا كانت الجنيّات قد تركن كنزاً ما في قاعها أم لا. فاجتمعوا ذات يوم بأعداد ضخمة قرب البحيرة، ومعهم كل أدوات الحفر، وراحوا يعملون بنشاط كبير، وخلال ساعات حفروا خندقاً ضخماً بعمق ثلاثين ذراعاً (ولا يزال بالإمكان رؤية آثاره) وأخيراً وصلوا إلى حافة البحيرة، حتى بدا أن ضربة معول واحدة كانت كافية لهدم جانب الضفة واندفاع سيل الماء. وفي الوقت الذي كادت أن تقع فيه هذه الضربة، وفي اللحظة التي رفع فيها المعول لإتمام ذلك توهجت ومضة برق

Twitter: @ketab_n

قوية حجبت الضربة واسودت السماء، ودوى الرعد مجلجلاً بين الجبال، محدثاً آلاف الأصداء، وفر كل العمال من الخندق، وتوقفوا قليلاً على ضفة البحيرة. وعندما تلاشى دوي الرعد، ظهرت بعض التموجات على سطح المياه، واهتز وسط البحيرة بشكل عنيف، ووسط هذه الدوامة المحمّومة ظهر كائن عملاق، يبلغ طول شعره ولحيته ثلاث أذرع على الأقل، فخاطب العمال ونصفه تقريباً كان إلى الخارج من المياه.

«إنني أحذّركم

أنكم إذا أقلقتم سكينتي

فسأغرق وادي أوسك

مبتدئاً بقرية بريكون».

ثم اختفى قائلاً «تذكروا شعار القطة»، ثم اختفى وسط عاصفة رعدية رهيبة.

عندما هدأ روع الناس وخف ذهولهم، بدأوا يناقشون الأمر. فاستطاعوا أن يفهموا التحذير تماماً، لكنهم اضطربوا واختلفوا في تفسير «شعار القطة»، الذي لم يفهموه أبداً. في هذه الأثناء كان قد

Twitter: @ketab_n

حضر عجوز اسمه توماس سيون روتير تشي، وقال إنه قادر على تفسير ذلك. قال: «اعتدت في صغري أن أرعى الغنم في الجبال البعيدة وذات يوم طلبت مني امرأة، أن آخذ قطتها المشاكسة، وأغرقها في هذه البحيرة. وعندما وصلت إلى هنا، خلعت حزامي وأحكمت رباطه حول عنق القطة، ثم ربطت به حجراً كبيراً وألقيت بها في الماء، فغرقت في الحال، واختفت عن الأنظار. وفي اليوم التالي ركبت قارباً قاصداً صيد السمك في بحيرة «الّون سوفانون». فماذا رأيت هناك؟ رأيت القطة التي أغرقتها في هذه البحيرة، عائمة فوق المياه، وحزامي مربوط حول عنقها. شعرت بالرعب لأن البحيرتين تبعد إحداهما عن الأخرى مسافة أميال، وليس ثمة مجرى يوصل ما بينهما. فلم أبح بما حصل معي لمخلوق حتى يومنا هذا.

فاستنتج العمال أن هناك رابطاً غامضاً بين البحيرتين، وأنه بالرغم من أن لين كوم لوتش التي يقفون أمامها هي بحيرة صغيرة المساحة، فإنهم لو حاولوا إفراغها، فسوف تساعدها البحيرة الأخرى الكبيرة، وتنتقم منهم، رافدة إياها بإفراغ جسمها المائي الهائل فوق المناطق المجاورة وخصوصاً بلدتهم. فقرروا التوقف عن إكمال خطتهم، وتركوا الخندق الذي قاموا بحفره على حاله، وانصرفوا إلى بيوتهم.

Twitter: @ketab_n

مغامرات المزارعين الثلاثة

ذات يوم، ذهب ثلاثة رجال إلى «سوق بيدجيلرت»[1]، ولدى عودتهم منه، صادفتهم أمور غريبة قبل أن يصلوا إلى منازلهم.

كان أولهم مزارع من «جيلويرن»[2]، الذي شاهد في طريق عودته إلى البيت جماعة من الجن وهم يرقصون. فظل يراقبهم لساعات وساعات، وكانت الموسيقى التي تصدر عنهم عذبة جداً، إلى درجة أن ساوره اعتقاد معها بأنه لن يسمع مثلها حتى ولا في الجنة، إلى أن نسي نفسه وهو ينصت إليهم، فأخذ يقترب منهم تدريجياً، وعندما رأوه ذروا بعض الغبار في عينيه، وفيما يحاول إزالته، ابتعدوا إلى مكان ناءٍ، فلم يعد يرى أو يسمع شيئاً منهم.

أما الثاني فهو مزارع من قرية «فريد»، وقد شاهد أيضاً لدى عودته، حشداً من الجن، منصرفين إلى اللهو والمتعة.

(1) بلدة بيدجيلرت تقع في منطقة غوينيد بويلز، ويعني اسمها بالويلزية قبر جيلرت (م).
(2) قرية تقع في جنوب شرق ويلز (م).

Twitter: @ketab_n

وفيما كان يشاهدهم أغفى. فقاموا بربطه بإحكام شديد على نحو لا يسمح له بالحراك، ثم غطوه بحجاب من القماش الرقيق، بطريقة لا يتمكّن أحد من رؤيته، في حال طلب المساعدة. ولما لم يعد إلى بيته، قامت عائلته بالبحث الدقيق عنه، ولكن من دون جدوى. وفي الوقت نفسه من الليلة التالية، التي كانوا قد ربطوه فيها أتى الجن وحرّروه من قيده. فاستيقظ بعدما كان قد نام طيلة ليلة ونهار كاملين. حين استيقظ لم يكن يعرف مكان وجوده، فأخذ يسير هنا وهناك، على منحدرات «جادر»، بقرب «غروس فاور» حتى صياح الديك. حينئذٍ عرف مكانه بالتحديد. لقد كان على بعد ربع ميل تقريباً من منزله.

وكان المزارع الثالث من «دروس أو كود» وقد سلك في طريق عودته الطريق القديم فوق «جادر»، وعندما اقترب من القمة، شاهد منزلاً رائعاً، تقام فيه احتفالات رائعة. كان يعرف أنه لا يوجد الطريق مثل هذا البيت، فاعتقد أنه ضلّ طريقه، وصمم على دخول البيت ليطلب الإذن بالمبيت فيه تلك الليلة. استُجيب طلبه فوراً، وعندما دخل البيت اعتقد أن حفل زفاف يقام فيه، نظراً لجو البهجة والأغاني والرقص.

Twitter: @ketab_n

كان المكان يضج بشباب ونساء وأولاد يتهجون إلى أقصى درجات البهجة. وبعد قليل بدأ الجمع يَنفضّ، فطلب أن يسمح له بالإيواء إلى سريره.

أرشدوه إلى غرفة نوم جميلة، فيها سرير مفروش بريش ناعم وأغطية بيضاء. فخلع ثيابه على الفور ونام نوماً هانئاً حتى الصباح.

عندما استيقظ وجد نفسه مجدداً على أرض مستنقع، في الهواء الطلق، ووسادته أجمة من نبات السمّار، وغطاؤه السماء الزرقاء.

Twitter: @ketab_n

كادوالادر وعنزته

كان لرجل اسمه «كادوالادر» عنزة سخية الضرع، اسمها «جيني»، وكان سعيداً بها جداً لأنها حسنة السلوك لا تسبب له المشكلات على الإطلاق. لكنها ذات مساء لم تسمح لصاحبها أن يمسك بها. أخذت تركض في الحقل جيئةً وذهاباً. ورغم أن كادوالادر سريع في الجري، إلا أنه لم يتمكن من الإمساك بها رغم بذله جهده الأقصى. وكالصياد قفزت العنزة من فوق السياج، إلى الحقل المجاور. وعندما تبعها إلى هناك قفزت إلى حقل آخر، واتجهت نحو الجبل. وكانت تتوقف لمرات عدة وما إن يقترب منها كادوالادر، حتى تنطلق مجدداً. وعندما وصلت إلى قمة جرف مرتفع، كان الغضب قد اجتاحه، وكادت أنفاسه تنقطع وبكل ما أوتي من قوة، تناول حجراً ضخماً وضرب به الدابة المشاكسة، فأصابها الحجر فوقفت على الجرف وهي تثغو، لتلاقي حتفها في أسفله.

Twitter: @ketab_n

وقع كادوالادر أسير الندم والحزن، وانحدر إلى أسفل الجرف حيث وجد العنزة فلامست يده وهي تحتضر. ترك هذا المشهد تأثيراً شديداً في نفسه، فانفجر بالبكاء، وجلس على الأرض وأخذ رأس العنزة بين يديه. وفجأة تحوّلت العنزة إلى شابة جميلة، فقالت وهي تنظر إليه بعينيها البنيتين الرائعتين: «آه، كادوالادر، لقد وجدتك أخيراً. تعالَ معي». أمسك بيدها وتركها تقوده بعيداً. كان ملمس اليد كملمس حافر حيوان، لكنه عندما نظر إليها وجد يداً طبيعية رغم أنها أكثر بياضاً وأكثر جمالاً من أي يد رآها في حياته.

قادته الشابة من دون توقف، وهي تتحدث بكلام لم يسمع في حياته ما هو أكثر عذوبة منه. وأخيراً وصلا إلى قمة جبل مرتفع جداً، حيث كان الليل قد حلّ، والقمر في السماء. نظر كادوالادر حوله فرأى قطعاناً من الماعز لا يحصى عددها تحيط بهما. وفجأة ارتفع ثغاء مرعب جداً. وكانت إحدى العنزات وهي أكبر حجماً من مثيلاتها تثغو ثغاء عالياً يوازي أصوات باقي القطعان كلها. أسرعت إلى كادوالادر ونطحته في معدته، وجعلته يهوي على الأرض تماماً كما حصل لجيني. ثم اندفع متدحرجاً نحو الأسفل، ولم

Twitter: @ketab_n

يتوقف إلا عندما اصطدم رأسه بصخرة كبيرة، ففقد وعيه. لم يستيقظ كادوالادر إلا عندما أيقظته أشعة الشمس والطيور المغرّدة في الصباح. لكنه ومنذ ذلك الحين حتى لحظة مماته لم يرَ عنزته أو الجنية التي كانت قد تحولت إليها.

Twitter: @ketab_n

الزوجة الجنيّة

في ماضي الأيام الغابرة، كان يعيش شاب نشيط مرح وشجاع في مزرعة «إيستراد»[1] في مقاطعة «نانت إي بيتوس». كان قد اعتاد في الليالي المقمرة أن يستمتع بمشاهدة الجن وهم يرقصون ويعزفون موسيقاهم الرائعة. وذات ليلة أتوا إلى حقل قرب البحيرة يجاور منزله، وقد سمّي فيما بعد «لان إي دوارتشتن» لقضاء سهرة ممتعة. خرج الشاب كعادته لمشاهدتهم، فوقع نظره على إحدى الجنيّات، التي يفوق جمالها كل جمال بشري رآه في حياته. كانت بشرتها كالثلج المنقوع بالدماء، وصوتها كصوت العندليب، رقيقاً كنسيم ليلة صيف في حديقة أزهار. وكانت هيفاء القامة رشيقة، تمشي بخفة فوق العشب الأخضر، محاكية رقصة أشعة الشمس قبل ساعات قليلة من تموجاتها فوق البحيرة.

فشعر أنه أغرم بها للتو، من رأسه حتى أخمص قدميه. ولما

(1) قرية تقع في وادي روندا فاور جنوبي ويلز (م).

Twitter: @ketab_n

بلغ الفرح ذروته وتحت تأثير اندفاع العاطفة الجامحة المفاجئة، اندفع إلى وسط حشد الجن، وانتزع الفتاة من بينهم، وحملها وهرب بها إلى منزله.

وحالما رأى الجن التصرف العنيف الصادر عن بشري، أوقفوا الرقص، وركضوا خلفه إلى المنزل. لكنهم وصلوا متأخرين. كان قد أقفل الباب وأدخل الفتاة المخطوفة غرفة وأقفل عليها بأقفال من حديد، مما جعل استرجاعها أمراً مستحيلاً، لأن الجن يكرهون الحديد.

أصبحت الفتاة رهينة ذلك الشاب الذي حاول أن يكسب ودها وعاطفتها بالوسائل كافة، ثم عرض عليها الزواج منها، فرفضت رغم رجائه المستمر. وعندما رأت أنه لن يسمح لها بالعودة إلى أهلها، قالت له: «لن أكون زوجة لك، ولكن إذا اكتشفت اسمي فسأكون خادمة لك». ظن الشاب أن المهمة ليست مستحيلة، فوافق على الشرط متردداً. لكن المهمة كانت أصعب مما تخيّل. فقد جرّب كل الاسماء التي كان قد سمعها في حياته، حتى الأسماء الغريبة في الكتاب المقدّس من مثل صرويّة، ولاروهامل، هزللبوني، إلا أنه ظل بعيداً عن تحقيق هدفه، ومع ذلك لم يستسلم. وفي آخر المطاف حالفه الحظ، فقد كان عائداً

Twitter: @ketab_n

ذات ليلة من السوق حينما شاهد عدداً من الجن في مقبرة لا تبعد عن طريقه. وبدا له أنهم يتداولون بجدية في قضية هامة، قال في نفسه: أنا متأكد أنهم يخططون لاسترجاع أختهم المخطوفة. ومن المحتمل أن أعرف اسم حبيبتي إذا اقتربت إلى مسافة تمكنني من سماعهم وهم يتحدثون من دون أن يروني.

نظر حوله جيداً، فرأى خندقاً عميقاً يمتد عبر المقبرة، يمر بالقرب من المكان الذي يجتمع فيه الجن. فانطلق إلى الخندق، كالحلزون زحفاً على يديه وقدميه، من دون إحداث أي ضجة، وببطء تام، حتى أصبح قادراً على سماعهم. وبعد فترة اكتشف أن ظنه كان في محله: فقد كانوا يناقشون مصير الفتاة التي اختطفها منهم، حيث سمع أحدهم يقول بصوت عال: «أوه بينيلوبي، بينيلوبي، شقيقتي، لماذا هربتِ مع بشري». قال الشاب في نفسه: «بينيلوبي! لابدّ من أن هذا هو اسم حبيبتي، وهذا يكفيني».

أخذ يزحف مجدداً بهدوء تام عائداً إلى بيته، حريصاً على ألا يراه الجن، وعندما دخل المنزل، نادى الفتاة: «بينيلوبي، يا قلبي الذهبي، تعالي إليَّ».

Twitter: @ketab_n

فجاءت إليه وسألته بدهشة : «أوه! أيها البشري من أخبرك باسمي؟»، ثم شبكت ذراعيها فوق صدرها، وقالت: يا للأسف! إنه قدري».

استسلمت للأمر الواقع، وبجدية تامة شرعت تعمل كخادمة. وبفضل حسن رعايتها ازدهر كل شيء في البيت وفي المزرعة. حيث لم يكن ثمة ربة منزل أفضل أو أكثر نظافة منها في البلدة كلها. ولا سيدة معطاء مقتصدة أكثر منها. كانت تحلب الأبقار ثلاث مرات في اليوم، وتحصل على الكمية نفسها من الحليب كل مرة. كانت الزبدة التي تصنعها ممتازة إلى درجة أن الباوند منها كان يباع ببنس، أي أغلى من أي زبدة تباع في السوق.

لكن الشاب لم يكن يريدها خادمة له، وظل يرجوها باستمرار أن تتزوجه. والمثل الويلزي يقول: كثرة الضرب تحطم الصخر. وفي نهاية المطاف وافقت على الزواج منه، لكنها قالت: «ثمة شرط واحد عليك احترامه هو ألا تضربني بالحديد أبداً، وإذا فعلت سأكون حرة وسوف أتركك وأعود إلى عائلتي». كان الشاب مستعداً للموافقة على كل شروطها، خاصة وأنه رأى أن ما طلبته أمر بسيط وسهل.

Twitter: @ketab_n

فتزوجا وعاشا سعيدين لسنوات، ورزقا بولدين: صبي وبنت، هما صورة عن أمهما، فصارا معبودي والدهما. كانت الزوجة الجنيّة حكيمة ونشيطة، وبفضلها أصبح الزوج من أغنى أغنياء تلك البلدة، فقد امتلك إضافة إلى المزرعة كل الأراضي في شمال «نانت إي بيتوس» إلى «قمة جبل سنودونيا»، وكل أراضي «كوم برونيوغ»، أي ما يساوي زهاء الخمسة آلاف فدان.

وذات يوم أراد الزوج الذهاب إلى معرض في كارنارفون، وخرج إلى الحقل لشراء فرس ترعى في جوار المنزل، كي تكبر فيبيعها لاحقاً في السوق. لكنه ورغم الجهد الكبير الذي بذله لم يتمكن من السيطرة عليها، فنادى زوجته التي جاءت من دون تردد لتساعده. واتفق الزوجان على خطة للقبض على الحيوان الجامح واقتياده إلى زاوية آمنة، كما كانا يظنان. إلا أنه حين اقترب الزوج ليضع اللجام في عنق الفرس شردت منه، ولشدة غضبه ألقى اللجام خلفه عله يمسك بها. فمن هو ذاك الذي كان يعدو خلفها للقبض عليها؟ إنها الزوجة، التي أصابتها القطعة الحديدية في خدها، فاختفت عن نظره في التوّ. ورغم أن الشرط يفضي بأن تختفي من حياته نهائياً، إلا أن الجنيّة لم تستطع أن تنسى حبها لزوجها وأولادها في تلك الليلة الباردة.

Twitter: @ketab_n

وبعدما كان قد مر وقت طويل على الحادثة هبّت ذات يوم رياح يسمونها «أرجل الأموات». فاستفاق الزوج على نقرة خفيفة على زجاج نافذة غرفته، وعندما سأل: من هناك؟ أتاه صوت زوجته الحنون الرقيق وهو يقول:

«إذا اشتد البرد على ولدي

فغطّه بمعطف والده

وإذا شعرت ابنتي بالبرد

فغطّها بتنورتي السميكة».

كانت دائماً تجد طريقة لترى أحباءها وتكلمهم بانتظام.

كان قانون الجن لا يسمح لها بالعودة إلى الأرض بعد أن رجعت إلى أرض الجن. فصنعت بقعة خضراء كبيرة تعوم بها على سطح البحيرة، وكانت تقف عليها ساعات وساعات، تتحدث بحرية مع زوجها وأولادها الواقفين على الشاطئ. ومن خلال تلك الحيلة تمكنوا من اللقاء ببعضهم بعضاً على الدوام إلى أن لفظ الزوج والأولاد أنفاسهم الأخيرة. ولا تزال الجزيرة تحمل الاسم نفسه حتى يومنا هذا.

Twitter: @ketab_n

إينيون وسيدة الغابة الخضراء

ذات يوم كان إينيون، ابن غوالتشاماي يتمشى في جو صيفي رائع، في غابات ترفيلير، فشاهد سيدة رشيقة لبقة، يفوق جمال لون بشرتها جمال كل ما هو أبيض أو أحمر في ضوء الصباح. وبياض ثلوج الجبال، وكل ألوان الزهر الجميلة في الغابات والحقول والهضاب.

حياها وهو يشعر بحب كبير يملأ قلبه، فردت على تحيته بشكل يوحي بأنها تستلطفه. دنا منها بلطف، فدنت هي أيضاً، وعندما أصبح أمامها لاحظ أن لها حافرين بدل القدمين. أراد المعجب الهرب، لكنها استخدمت فتنتها لتجذبه إليها، وقالت له: «يجب أن تلحق بي أينما ذهبت». واتخذته عبداً لها، فرضي وأكد أنه سيذهب معها إلى آخر الدنيا، لكنه استأذنها في الذهاب لوداع زوجته آنغاراد.

وافقت سيدة الغابة الخضراء على ذلك، وقالت له: «ولكن سوف أكون معك، ولن يراني أحد سواك». ذهب إلى زوجته

Twitter: @ketab_n

ومعه الجنيّة القبيحة (لأن سيدة الغابة الخضراء لم تكن جميلة). وعندما رأى زوجته آنغاراد بدت له عجوزاً. لكنه تذكر أيامه الخوالي معها، وظل يشعر بحب حقيقي نحوها. إلا أنه لم يكن قادراً على التخلص من السحر الذي انقاد إليه، قال لها: «من الضروري أن أرحل عنك لبعض الوقت. ولا أستطيع تحديد مدة غيابي هذا». بكيا معاً، واقتسما خاتماً ذهبياً، حيث ظل بحوزة كل منهما نصفه. وبعد أن ودع واحدهما الآخر مضى الزوج مع سيدة الغابة الخضراء إلى مكان مجهول، لأنه كان مسحوراً بتأثير تعويذة قوية. وهناك لم يكن يرى أي مكان أو أي شخص أو أي شيء على صورته الحقيقية، سوى نصف الخاتم، الذي اقتسمه مع زوجته.

وبعدما كان قد مر وقت طويل عليه برفقة سيدة الغابة الخضراء، نظر ذات صباح، مع إشراقة الشمس، إلى نصف الخاتم، وراوده الظن بأن يخفيه في مكان سري للغاية. فتوصل إلى فكرة أن يضعه تحت جفنه. وبينما كان يهم بفعل ذلك رأى رجلاً بلباس أبيض، يركب حصاناً أبيض كالثلج، قادماً نحوه، فسأله: «ماذا تفعل هنا؟». فأجاب إينيون أنه يستعيد ذكرى زوجته آنغاراد. سأله الرجل الذي يتجلبب

Twitter: @ketab_n

باللباس الأبيض: «هل ترغب في رؤيتها؟»، أجاب إينيون: «أرغب بذلك أكثر من أي شيء أو أي متاع في العالم». قال الرجل: «اركب خلفي على الحصان إذن». امتطى إينيون الحصان خلفه ونظر حوله، فلم يرَ أي أثر لسيدة الغابة الخضراء، ما عدا آثار حوافر ضخمة جداً ومخيفة، تتجه نحو الشمال. سأله الرجل ذو اللباس الأبيض: «ما هي التعويذة التي قرئت عليك؟». فأخبره إينيون كل شيء، وكيف سارت الأمور بينه وبين سيدة الغابة الخضراء. قال الرجل: «أمسك هذه العصا البيضاء، ولك أن تتمنى كل ما ترغب به فيتحقق». أخذ إينيون العصا، وكانت أول أمنية تمناها رؤية سيدة الغابة الخضراء، لأنه لم يكن قد تخلّص من سحرها بعد. فظهرت عليه سيدة قبيحة شنيعة المنظر، تثير الاشمئزاز أكثر من أي منظر مرعب آخر على وجه الأرض. صرخ إينيون صرخة ملؤها الهلع، فألقى الرجل ذو اللباس الأبيض عباءته عليه. وبأقل من طرفة عين حطّ إينيون على هضبة ترفيلير، قرب منزله، حيث لم يكن بمقدوره التعرف إلى أحد، ولم يكن بمقدور أحد أن يتعرف إليه.

Twitter: @ketab_n

في تلك الأثناء ذهبت الجنيّة القبيحة التي ظهرت لإينيون على أنها سيدة الغابة الخضراء، إلى ترفيلير، على هيئة رجل نبيل، قوي، ثري، ووضع رسالة في يد آنغاراد، كتب فيها: «إن إينيون قد مات في النروج منذ أكثر من تسع سنوات»، وراح يلقي بسحره عليها، وهي منصتة لكلماته الخرافية.

وبعد أن فكرت قليلاً، رأت أنها ستصبح سيدة نبيلة إذا تزوجت منه. ولن تدانيها في مكانتها أي سيدة أخرى في ويلز، فحددت يوماً لزفافها عليه.

بدأ الاستعداد الكبير للزفاف، ليكون أنيقاً فخماً، حيث أُحضِرَت اللحوم والمشروبات، واستدعي المغنون والعازفون المهرة، واستقدمت الآلات الموسيقية اللازمة لجو الزفاف البهيج.

وكان في غرفة آنغاراد قيثارة جميلة، عندما رأتها الجنيّة القبيحة المتنكرة بهيئة رجل، أرادت أن تستمع إلى موسيقاها. حاول العازفون، وهم من أفضل موسيقيي ويلز، أن يدوزنوا أوتارها، لكنهم لم يفلحوا.

Twitter: @ketab_n

في هذا الوقت، دخل إينيون إلى المنزل، ورأته آنغاراد، كشيخ ذابل، أبيض الشعر، محني الظهر، يرتدي اسمالاً بالية. وبعد أن فشل العازفون في دوزنة القيثارة، أمسكها إينيون بين يديه وراح يدوزنها. ثم عزف عليها نغماً تحبه آنغاراد. كانت مندهشة للغاية فسألته من يكون. قال: «أنا إينيون ابن غوالتشاماي، ألا ترين أن الذهب البرّاق هو رمزي؟»، وأعطاها نصف الخاتم الذي بحوزته، لكنها لم تستطع أن تتذكره. ثم وضع العصا البيضاء في يد آنغاراد، وعلى الفور تحولت الجنية التي ظهرت في هيئة رجل نبيل سابقاً، إلى وحش بشع على نحوٍ لا يتصوره العقل، فأغمي عليها من الرعب، وحملها إينيون إلى سريرها وعندما استعادت وعيها، وفتحت عينيها، لم ترَ أثراً للجنيّة القبيحة أو للضيوف أو الموسيقيين. لا شيء سوى إينيون والقيثارة، والطعام على المائدة، وقد عبقت روائحه الزكية في المكان.

جلسا ليتناولا الطعام، وكانت بهجتهما كبيرة للغاية لتخلصهما من اللعنة التي كانت قد ألحقتها الجنيّة القبيحة بهما.

Twitter: @ketab_n

جزر المحيط الخضراء

في منطقة إنجلترا الصغرى الواقعة خلف مقاطعة ويلز، كان الناس يسمّون الجن بـ «أبناء رايز العميق»، وقد فكر سكان «بامبروكشير» طويلاً جداً للاهتداء إلى مساكن الجن، الذين اعتادوا الحضور إلى الأسواق في «ميلفوردهافن» وغيرها من الأماكن، بانتظام. كانوا يشترون حاجاتهم من دون أن يتكلموا، فيضعون نقودهم وينصرفون، تاركين المبلغ المطلوب تماماً، الذي كانوا يعرفونه من دون أن يسألوا عن ثمن ما يشترون. وقد كان «غروفيذ آب إينيون» يزودهم بالذرة، أكثر من أي شخص آخر، بالإضافة إلى أحد الجزارين المميزين في «ميلفوردهافن»، وكانوا يفضّلونه عن سواه. لم يكونوا يظهرون للعيان أبداً، لكن بعض الناس الثاقبي النظر كانوا يلاحظون وجودهم في الأسواق. إلا أن أحداً لم يكن قد رآهم لا في أوقات مجيئهم، ولا في أوقات رواحهم. كان فضول الناس كبيراً لمعرفة أماكن إقامتهم. فحتى الجن يحتاجون إلى مكان يقيمون فيه.

Twitter: @ketab_n

ذات يوم، وفيما كان غروفيذ آب إينيون يتمشى حول قبة كنيسة «القديس داوود»، شاهد جزراً بعيدة في البحر، لم يسبق له أن رآها من قبل. فقال: «آه! ها هي جزر المحيط الخضراء (غيور ذونهاوللیون) التي يتغنى بها الشعراء. سأذهب الآن لرؤيتها»، وانطلق نزولاً في إتجاه الشاطئ، لتكون الرؤية أكثر وضوحاً، لكنه ما إن تهيأ للنظر جيداً حتى اختفت الجزر. عاد إلى المكان الذي شاهدها منه، فرآها مجدداً بوضوح تام، مع بيوت منتشرة هنا وهناك بين الحقول الخضراء. وقد كان غروفيذ هذا رجلاً حاد الذكاء، فاقتطع قطعة العشب التي كان يقف عليها وطبقة التراب التي تحته، وأخذها إلى شاطئ إحدى الجزر. وهناك استقبله الجن بحرارة. وبعد أن عرضوا له كل عجائب موطنهم، أعادوه إلى بيته محملاً بالهدايا. إلا أنهم أخذوا منه الأعشاب والتراب السحريين، وأرشدوه إلى ممر سري تحت الأرض يمكّنه من القدوم لزيارتهم عبره متى يشاء.

استمرت صداقة غروفيذ الرائعة مع «أبناء الرايز العميق» طيلة حياته. وقد جعله الذهب الذي أهدوه إياه الرجل الأكثر ثراء في غربي ويلز.

Twitter: @ketab_n

أذنا مارس

كان نفوذ «مارس آب ميرتشيون» ملك «كاستلمارتش» في «لين»[1]، يمتد فوق مساحة من الأراضي الغنية، التي يحرثها مئات المزارعين بكل رضا وجد ونشاط. وكان يمتلك إضافة إلى ذلك، قطيعاً من الخيول وكلاباً سلوقية، ونسوراً وقطعان أبقار سوداء، وأغناماً لا تُحصى، وقطيعاً كبير من الخنازير. في ذلك الوقت كان الناس الذين يملكون الخنازير قلائل جداً، وكان الاعتقاد السائد أن لحمها أفضل من لحم الثيران. كما امتلك كنوزاً هائلة من الذهب والفضة واللؤلؤ. كان الرجال جميعاً يحسدونه على ما يملك. إلا أن «مارس» لم يكن سعيداً، فقد كان يخفي سراً يمزّقه طوال ليله ونهاره، ويرتعب من أن يكتشفه أحد من الناس: كانت أذناه كأذني الحصان.

لم يكن أحد يعرف سره سوى حلاّقه، وقد أجبره على أن يقسم بصدق بألاّ يبوح بالسر لأي كائن حيّ. وإذا فعل ذلك

(1) شبه جزيرة لين: تمتد نحو 30 ميلاً في بحر أيرلندا، من شمال غرب ويلز (م).

Twitter: @ketab_n

طوعاً أو كرهاً وعلم أحد باختلاف أذنيه عن آذان البشر، فقد أقسم مارس على أنه سيقطع رأسه.

تكدرت أحوال الحلاّق وتنعصت معيشته. وكانت تعاسته أكبر بكثير من تعاسة مارس لأن افتضاح أمر «مارس» الذي سيكون محط ازدرائهم وسخريتهم أمر خطير سيؤدي به إلى قطع رأسه. وقد أثّر كتمان السر هذا في حياة الحلاق إلى درجة أنه فقد شهيته، وشحُب لونه، وبدأت صحته تتدهور، الأمر الذي استوجب استدعاء طبيب لمعاينته. كان الطبيب ماهراً جداً، فقال للحلاّق: «لابدّ من أنك تكتم سراً ما يكاد يقتلك. فإنك إذا لم تبح به لأحد فسوف تموت عما قريب». لم يكن الحلاّق مسروراً حينما سمع من الطبيب ما قال، لكنه شرح له أنه إذا أفشى السر الذي يعذبه فسوف يُقطع رأسه. وهو يفضّل أن يعيش إلى نهاية العمر المقدّر له بدل أن يغادر الدنيا مقطوع الرأس. عندئذٍ اقترح عليه الطبيب أن يفشي سرّه للأرض. ظن الحلاّق عندها أنّ عمود رقبته لن يكون في خطر (هذا ما كانت تسمى به عظام الرقبة قديماً) إذا فعل ما أشار به عليه الطبيب.

عندئذٍ شعر الحلاّق بالانفراج، وعاد إليه لونه وشهيته تدريجياً. وبعد وقت قليل استعاد شيئاً من عافيته كما كان

Twitter: @ketab_n

من قبل. وصادف أن المكان الذي قصده ليهمس فيه سره هذا للأرض، كان ينمو فيه الكثير من القصب.

ذات يوم قرر «مارس» إقامة حفل ضخم، وأرسل في طلب واحد من عازفي المزمار من منطقة «مالفون غيوينذ»، وكان أفضل عازف مزمار في العالم.

وفي طريقه إلى «كاستل مارتش»، شاهد العازف القصب الرائع. وبما إن مزماره كان قد أوشك على التلف، فقد اقتطع قصبة واحدة فقط وصنع منها مزماراً رائعاً. وفي الحفل، بعدما تناول الضيوف الطعام والشراب، أمر مارس الزمّار بأن يعزف. لقد كانت مفاجأة للجميع أن المزمار لم يصدر الموسيقى البتة، بل مجرد كلمات على النحو التالي: «إن لمارس آب مايرتشيون أذنين كأذني الحصان، إن لمارس آب مايرتشيون أذنين كأذني الحصان». مكرراً إياها مرات عدة. فاستلّ مارس سيفه وأوشك أن يهوي به على العازف، لكنه توسّل إليه مسترحماً إياه، فاللوم لا يقع عليه، وحاول مجدداً أن يعزف الموسيقى المطلوبة لكن المزمار المسحور أخذ يكرر الجملة السابقة: «إن لمارس آب مايرتشيون أذنين كأذني الحصان».

Twitter: @ketab_n

جرّب مارس المزمار بنفسه، لكنه لم يستطع أن يخرج منه سوى هذه الجملة. عندها سامح مارس العازف المسكين، ولم يعد بعدها يخشى أن تظهر عاهته أمام الناس أبداً.

Twitter: @ketab_n

قيثارة الجنية

اعتاد الجن الذين يعيشون في أحياء «كادير إدرس»[1] على التنقل من كوخ إلى آخر في ذلك القسم من البلدة لاستطلاع أحوال السكان. فمن يستقبلهم بفظاظة، يجعلون النحس يحلُّ عليه طيلة حياته. أما من يستقبلهم بحفاوة عندما يزورونه متنكّرين، فيحظى ببالغ امتنانهم وعرفانهم له بالجميل.

ذات ليلة وحينما كان «مورغان آب رايز» وحيداً، جالساً قرب موقده، يسلي وحشته بتدخين الغليون وبشرب بعض جعة «لانفولن»، وقد جعله الإفراط في الشراب سعيداً جداً، ومنتشياً، راح يغني، أو خيّل إليه أنه يغني. ولم يكن معروفاً عنه أنه ذو صوت جميل على أي حال. وقد حدث أن شاعراً معيناً كان قد جرح شعور مورغان عندما شبّه غناءه بخوار بقرة عجوز أو نباح كلب أعمى ضلّ طريقه إلى حقل الأبقار. وقد كانت ممازحات الشعراء في ويلز من الأمور الخطيرة لأن الشعراء سليطو اللسان.

(1) جبل في سنودونيا، شمال ويلز (م).

Twitter: @ketab_n

ولكن كان الغناء يبعث السرور في نفس مورغان، وذلك المساء، شعر أنه يغني بتناغم رائع. والأمر الوحيد الذي عكّر صفوه هو غياب جمهور يستمع إليه. وعندما بلغ ذروة النشوة في الغناء، سمع قرعاً على الباب. فابتهج لتخيّله أن أحداً سيستمع إليه. أخذ مورغان يغني بحماسة أكبر وبصوت أعلى لأنه يعتقد أن طبقات صوته العليا مصدر للجمال والبهجة. وعندما توقف عن الغناء، سمع الباب يقرع مجدداً، فصرخ: «لِمَ صنعت الأبواب؟ أليس للدخول عبرها؟ ادخل، كائناً من تكن». فقد كان تصرف مورغان هذا غير لائق.

فتح الباب ودخل ثلاثة رجال تبدو عليهم آثار عناء السفر وعلامات الإرهاق. كانوا في الحقيقة من الجن من بلدة «كادير إدرس»، متنكرين بهيئة مسافرين ليروا كيف يعامل مورغان الغرباء. لكن هذا الأخير لم يساوره الشك قطّ في أنهم ليسوا بشراً. فقال أحدهم: «أيها السيد الطيب، نحن مرهقون ومتعبون، وكل ما نطلبه هو القليل من الطعام، نضعه في متاعنا، ثم نتابع طريقنا». قال مورغان: «هذا كل ما تريدون؟» حسناً إذن، انظروا هناك، ثمة خبز وجبن وسكين. خذوا منها ما تشاؤون، وكلوا قدر ما تستطيعون، واملأوا متاعكم فلن أرضى قطّ بأن يقال إن مورغان آب رايز قد منع الطعام عن غرباء لجأوا

Twitter: @ketab_n

إلى بيته». إذ ذاك قام المسافرون على خدمة أنفسهم، وقرر مورغان ألا يقصّر في واجبات الضيافة، فبدأ يغني لهم وهم يتناولون الطعام، مرطباً حنجرته بين الحين والآخر ببعض الجعة، كلما أحسّ بجفافها.

تأهّب المسافرون الجن للذهاب، بعد أن تمتعوا بما فيه الكفاية، وقالوا لمورغان: «أيها السيد الطيب، نشكرك على حفاوتك بنا. ولأنك كنت كريماً جداً معنا، سنعبّر لك عن امتناننا، إنه بمقدورنا أن نحقق لك أمنياتك التي تريد، فقل لنا ما هي أمنيتك إذن؟».

قال مورغان: «في الواقع أتمنى من كل قلبي أن أمتلك قيثارة تعزف أجمل الألحان تحت أناملي، مهما كانت الطريقة التي أعزف بها، قيثارة تعزف ألحاناً مليئة بالبهجة والحياة. أنا لا أحب الموسيقى الحزينة– لكنكم من المؤكد تهزأون بي». إلا أن الحقيقة كانت عكس ذلك، فلم يكد ينهي كلامه حتى رأى قيثارة رائعة، أمامه بجوار الموقد، فكانت دهشته كبيرة. ونظر إلى ضيوفه، فإذا بهم قد اختفوا. قال مورغان: «هذا أغرب شيء رأيته في حياتي. لابدّ من أن ضيوفي كانوا من الجن». فاعتراه الذهول، وشعر أنه بحاجة إلى شرب المزيد من الجعة الأمر الذي خفّف من وطأة ذهوله. ثم أراد أن يجرب القيثارة التي أهديت إليه

Twitter: @ketab_n

على هذا النحو الغامض. وحالما لمست أنامله أوتارها، أخذت القيثارة تعزف نغماً باعثاً على الجنون والرغبة في القفز، ثم سمع وقع أقدام. فإذا بزوجته تدخل عليه مع بعض الأصدقاء. وما إن سمعوا أنغام القيثارة حتى بدأوا يرقصون. وظلوا كذلك طوال الوقت الذي يعزف فيه مورغان، يرقصون كمخلوقات مجنونة. وانتشر خبر امتلاك مورغان قيثارة ذات قوة غامضة ، في سائر أرجاء البلاد، كانتشار ألسنة اللهب. وكثر الزوار الذين توافدوا لمشاهدته ومشاهدتها. وفي كل مرة كان يعزف فيها على القيثارة كان السامعون يشعرون بأنهم مدفوعون إلى الرقص بقوة لا تقاوم، ولا يستطيعون التوقف أو المغادرة إلا عندما يكف مورغان عن العزف. حتى إن الشخص الأعرج أيضاً كان يرقص بعيداً عن الجمع متأثراً بالعزفِ الرائع.

وكان أحدهم ذو رجل واحدة يزور مورغان ويرقص ببهجة على أنغامه شأنه شأن أي رجل آخر برجلين اثنتين.

ذات يوم، كان من بين الحاضرين الذين توافدوا ليتأكدوا مما سمعوه عن القيثارة، ذلك الرجل الذي كان مورغان قد سخر منه، مصمماً على دفع مورغان إلى التوقف والخروج من تأثير حالته هذه. فلم يتوقف هذا الأخير عن الغناء، ولم يتوقف

Twitter: @ketab_n

الحاضرون عن الرقص أيضاً، واستمر يعزف ويعزف حتى أُنهِكَ الراقصون، فصرخوا متوسلين طالبين منه الكف عن العزف. لكن المشهد كان ممتعاً جداً بالنسبة لمورغان الذي لم يكن يريد التوقف. بعد أن ضحك حتى آلمته خاصرتيه، وسالت دموعه على وجنيته، لطرافة المشهد، لا سيما رقص الشاعر الذي كان قد سخر منه. أخذ الرقص يزداد جنوناً مع استمرار مورغان بالعزف. وكان الراقصون يدورون بلا توقف، عابثين بأثاث البيت بشكل متوحش، وقفز بعضهم إلى أعلى حتى اصطدمت رؤوسهم بسقف الكوخ. استمر مورغان يعزف حتى كسر الشاعر الذي سخر منه رجليه، وتضعضع الباقون حتى كادوا يفقدون السيطرة على أنفسهم. عندئذٍ شعر مورغان أنه انتقم لنفسه، حتى إنه أحسَّ بالألم الشديد في خاصرتيه وفكّيه من شدة الضحك، الأمر الذي اضطره إلى رفع أنامله عن القيثارة.

وقد كانت هي تلك المرة الأخيرة التي يتمكن فيها من إذلال أعدائه. ففي صباح اليوم التالي وجد أن القيثارة قد اختفت. ولم يعد يراها بعد ذلك أبداً. لابد من أن الجن الذين أزعجهم سوء استخدامه لهديتهم، قد أخذوها في تلك الليلة. وقد كان ذلك بمثابة الإنذار لكل من يسيء استخدام هدايا الجن.

Twitter: @ketab_n

غوتوباتش والجنيات

في منطقة «لانغيبي»، أطلق على أحد الأولاد في يوم مراسم معموديته اسم «غروفيد». لكن كان الجميع ينادونه بـ«غوتوباتش».

ذات يوم وبعدما عاد من الجبل، حيث كان يرعى غنم أبيه، حاملاً معه قطعاً تشبه الكراونات[1]، كل منها بحجم قطعة الكروان المسكوكة، وقد دمغت عليها بعض الأحرف، لكنها مصنوعة من الورق بدلاً من الفضة، فسألته أمه من أين حصل على هذه القطع، فقال غوتو: «كنت ألعب مع بعض الأولاد في الجبل، حين أعطوني إياها». سألت الأم: «أبناء من هم هؤلاء الأولاد؟»، أجابها: «لا أعلم، لكنهم مهذبون لطفاء جداً، بل أكثر تهذيباً ولطفاً مني». عرفت الأم حينها أنهم من الجن، فطلبت منه ألا يذهب بعد الآن إلى الجبل بمفرده، لأن اللعب مع الأولاد الغرباء أمر غير محمود البتة. لكن غوتو كان يتوق للّعب

(1) الكراون: قطعة نقدية فضية بريطانية (م).

Twitter: @ketab_n

مرة أخرى مع أولئك الأولاد. ذات مرة عصى أمر أمه، وانسلّ ذاهباً إلى الجبل، إلا أنه لم يعد بعدها إلى البيت، ولم يعثر أحد له على أثر رغم البحث الدؤوب الدقيق عنه. ذات صباح وبعد مرور سنتين فتحت أمه الباب، فإذا بغوتو الصغير جالساً على العتبة، يتأبط صرة بين ذراعيه. فكان حجمه لا يزال الحجم نفسه حين غادرهم ، ويرتدي الثياب نفسها، التي كان يرتديها يوم اختفائه، ولم يكن بادياً عليه أنه كبُر ولو يوماً واحداً. صاحت الأم المندهشة والمبتهجة في آن قائلة: «أين كنت طوال هذه المدة يا بني؟» أجاب غوتو: «أنا لم أغب طويلاً يا أمي، لقد ذهبت بالأمس فقط كي ألعب مع الأولاد الصغار. انظري ما أجمل الثياب التي قدموها إلي». فتحت الأم الصُّرَّة وكانت تحتوي على فستان من الورق الناصع البياض، لا أثر لأي درزات خياطة عليه. ولما كان الفستان هدية من الجن، فقد أحرقته الأم. وقد كان اختفاء غوتو طوال تلك المدة قد أكد لها أكثر من ذي قبل أن اللّعب مع أولاد الغرباء ليس محموداً على الإطلاق. لكنها في الحقيقة كانت على خطأ. فقد أثبتت صداقة غوتو لهم الذي كان يعتقد أنهم مجرد أولاد صغار، أنها مفيدة جداً. فبعد وقت قصير على اختفائه، عانى والداه من خسارة مادية كبيرة بعد أن استثمرا مدخراتهما وأموالهما كلها في سفينة تقوم برحلات تجارية إلى

Twitter: @ketab_n

«بوللهيلي» وتعود بالأرباح الطائلة لمالكي الأسهم فيها. لكن السفينة غرقت ذات يوم أثناء هبوب عاصفة هوجاء، الأمر الذي تسبب بالإفلاس لوالدي غوتو. ثم أن هناك صخرة كبيرة تقع على هضبة «بينتوراتش»، التي تقع أعلى تلال «لانغيبي»، وقد قيل أن كنزاً من الذهب مخبّأ تحتها، وحاول الكثيرون تحريكها أو زحزحتها، لكنهم فشلوا لأنهم لا يستحقون الكنز. إلا أن والدي غوتو صمما على محاولة زحزحة الصخرة من مكانها، أملاً بتعويض خسارتهما للحصول على الكنز المدفون تحتها. وقد تعاطف الجيران معهما، واستخدموا كل خيول المقاطعة لمساعدتهم، إلا أن الصخرة الثقيلة الوزن ظلت راسخة متشبثة بالأرض فذهبت سدى جهود كل الرجال والخيول. وظل والد غوتو يحدوه الأمل بالحصول على الكنز، لأن خيبة أمله كانت أكبر من أن يتحملها. وعندما رأى غوتو مقدار حزن والديه، تذكر أن لدى الأولاد الصغار الذين يلعبون معه، كثيراً من الذهب والفضة. فقرر أن يطلب منهم مساعدة أبويه في محنتهما. صعد مجدداً إلى الجبل ووجد الأولاد الصغار يلعبون كما جرت العادة، فأخبرهم عن محنة والديه، وما إذا كان بإمكانهم أن يمنحوه بعض أموالهم. فقالوا له: «بالطبع لا يمكننا ذلك، لكن ثمة ما يكفيك من الذهب والفضة مخبّأ تحت صخرة بينتوراتش». أخبرهم غوتو

Twitter: @ketab_n

عما حدث لأهله والجيران حين حاولوا زحزحتها، وشرح لهم الأمر بالتفصيل. قال الأولاد الصغار لغوتو: «نحن نعرف ذلك، ولكن هلا جربت أنت بنفسك إزاحتها لترى ما سيحدث؟». عاد غوتو إلى البيت وأخبر والديه بما سمعه من الأولاد الصغار لكنهما سخرا منه، فكيف سينجح في زحزحة الصخرة وقد فشل كل أقوياء وأشداء لانغيبي مجتمعين في ذلك؟ لكن اليأس والمحنة التي كانا يتخبطون فيهما، دفعتهما إلى السماح لغوتو بتنفيذ نصيحة الجن. أخذاه إلى الصخرة، وعندما وضع يده عليها، ارتجفت الكتلة الضخمة، فدفعها بعنف، وراحت الصخرة الهائلة تتدحرج، لتتحطم عند سفح الهضبة، حيث وجدوا تحتها ما يكفي من الذهب والفضة، لا لتعويض خسارتهم فحسب، بل ما يجعل من غوتو ووالديه أغنى سكان «كارنارفورشاير».

Twitter: @ketab_n

مطاردة إيناتو

قبل سنوات عديدة، كان ثمة رجل في هضاب «بريكونشاير[1]» اسمه «إيفان سيون واتكن»، لكنه كان يعرف بـ«إيناتو كودكاي» وإينتو هو لقب لإيفان، وكودكاي كان اسم المزرعة التي يسكن فيها.

ذات يوم تلقى إيناتو دعوة لحضور حفل معمودية ابن صديق له. قَبِلَ الدعوة بسرور آملاً أن يحظى بسهرة ممتعة. ولم يخب أمله، فقد قدموا في الحفل الكثير من المأكولات اللذيذة، والنبيذ الذي كانوا يسمونه قديماً «شراب العسل». واستمرت طوال الأمسية حلقات الرقص على وقع موسيقى قيثارة «بينيليون»[2]. فانقضى الوقت بسرعة فائقة، وجفل إيناتو عندما دوت دقات الساعة الكبيرة القديمة معلنة انتصاف الليل. ولأن أمراً ضرورياً كان عليه إنجازه غداً في البيت، حضّر نفسه للمغادرة لأنه سيمشي

(1) إحدى مقاطعات ويلز الثلاث عشرة (م).

(2) البينيليون في الثقافة التقليدية الويلزية هو فن ارتجال الموسيقى على القيثارة أو غيرها من الآلات الوترية (م).

Twitter: @ketab_n

مسافة كبيرة للوصول إلى منزله. لكن مضيفه وبعدما ألقى نظرة إلى الخارج قال له: «إن الظلام حالك كجوف بقرة يا إيناتو، هل معك مصباح لتستضيء به طريق عودتك إلى بيتك؟». شعر إيناتو بالإهانة من سؤال مضيفه هذا فأجابه غاضباً: «وهل تظن أنني ولد أرعن؟ لقد مشيت من قبل ليالي كانت أشد ظلمة من هذه الليلة، لدرجة أني كنت إذا أخرجت يدي من جيبي أكاد ألا أراها، ولم يحدث أن ضللت مرة الطريق إلى البيت، والآن تسألني سؤالاً كهذا؟ أطمئنك فلا مصباح لدي».

وبعد أن تمنى ليلة سعيدة للضيوف الباقين الذين لم يكونوا على عجلة من أمرهم لمغادرة الحفل، لأن طرق عودتهم قصيرة، ولمضيفه ومضيفته أيضاً، انطلق إيناتو بخطى قوية وسريعة فوق الجبل. وبعدما سار مسافة طويلة قطع فيها الشوط الأكبر من رحلته، خيّل إليه أنه يسمع أصواتاً تشبه عزف الموسيقى، آتية من الناحية التي يتجه إليها. وكلما اقترب أكثر وجد نفسه أقرب إلى تلك الأصوات، حتى تمكن من معرفة حقيقتها، إنها موسيقى قيثارة ترافقها أصوات تغني، حتى إنه استطاع أن يعرف اللحن وكان اسمه «آرهود إي نوس». ضحك إيناتو قائلاً: «هذا لحن مناسب جداً». ثم ضحك مجدداً والفرح يملأه، وحاول

Twitter: @ketab_n

أن يتبين من هؤلاء الذين يمرحون ويهزجون على هذا النحو، لكنه لم يتمكن لشدة الظلمة، وقد أثار الأمر فضوله لعلمه أن لا وجود لأي منزل في البقعة التي يمر فيها، وعلى امتداد مسافة كبيرة، فيما كان الصوت يأتي من مكان قريب، والعزف والغناء متواصلان. ففكر إيناتو أن لا ضير في أن ينحرف عن مساره قليلاً، ليشاهد ما يجري في ذلك المكان. بالإضافة إلى ذلك، رأى أنه من المؤسف المرور قرب حفل بهيج كهذا، من دون أن يشارك فيه. لذلك انعطف باتجاه الموسيقى، وبعد أن تجاوز المكان الذي اعتقد أن الموسيقى تنبعث منه، منحرفاً مجدداً عن مساره، فوجئ بأن أصوات الموسيقى ما زالت بعيدة. فقال لنفسه: «إنه لأمر غريب حقاً». وأخذ يحك رأسه لدقيقة أو اثنتين حائراً لا يدري ماذا يفعل، فانتعش ذكاؤه جراء تلك الحكة، وتساءل لماذا تأخر إلى هذا الحد في فهم اللغز، وقال لنفسه: «كم أنا بطيء الفهم لأني لم أتذكر أنه بديهي أن تسمع الأصوات في الليل من أمكنة بعيدة، أكثر منها في النهار».

وانطلق مجدداً، لكن لسبب أو لآخر، كانت الموسيقى تبتعد كلما مشى، ثم توقف وقال لنفسه مجدداً: «إن الأمر قد انتهى». كانت الموسيقى قد أصبحت بعيدة جداً، وبدأت أصداؤها

Twitter: @ketab_n

تتلاشى، فقال إيناتو هذه المرة: «لا، لن أستسلم». وأغذّ الخطى حتى لا يفقد أثر الألحـان تماماً. لكنه ما كاد يمشي أكثر من عشرة أذرع حتى حدث شيء غريب: لقد سقط على وجهه في مستنقع من الوحل، وعندما جاهد للخروج، وتمالك نفسه قدر المستطاع، نظراً للظروف المحيطة به، سمع الموسيقى على مقربة متناهية منه، فيما صوت ينادي قائلاً: «إيفان، إيفان». كان ذلك هو النداء الأكثر احتراماً الذي سمعه في حياته. وفكر ملياً في سِرّه: «حسناً، أياً يكن أولئك الناس، فلابد من أنهم مهذبون وعلى خلق». وبدلاً من التوقف عن ملاحقة مصدر الموسيقى كما كان ينوي، تمنى هذه المرة أكثر من ذي قبل أن يشارك المحتفلين مرحهم، لاسيما أنهم بدوا له في غاية التهذيب.

وبعد دقيقة أو اثنتين من السير، سمع صوتاً يناديه: «إيناتو، إيناتو»، لم يكن النداء راقياً مثل «إيفان، إيفان» لكن مزاجه كان هادئاً، فوجد أن ثمة ما يبرر ذلك قائلاً في نفسه: «لابدّ من أن بين الجمع شخصاً يعرفني، لذلك ناداني من دون تكلّف». لكن النداءات توالت، تارة باسم: «إيفان، إيفان» وتارة أخرى باسم «إيناتو، إيناتو»، واختلط بعضها ببعض وتشوّشت جداً حتى أصبح عاجزاً عن معرفة

Twitter: @ketab_n

ما إذا كان مصدرها الجمع المحتفلون، أم أنها تصدر عن القبّرات أو البط، التي كان يزعجها باستمرار أثناء مسيره بين النباتات.

أخيراً، وبعدما آلمته وأنهكته خيبات أمله المتكررة، قرر أن ينام على الأرض حتى الصباح. لكنه ما إن استعد للنوم، حتى انطلقت القيثارة تعزف مجدداً، وعلى نحو أكثر براعة من ذي قبل، وبدا العزف قريباً منه، لأنه سمع بوضوح كلمات الأغنية المرافقة. عندئذ نهض من النوم عاقداً العزم على تحقيق هدفه مهما كانت النتائج. ثم راح يخوض في المستنقعات وفي الوحول غائصاً حتى ركبتيه، يكدح حتى جرّحت نباتات الخلنج ساقيه، لكنه لم يكترث لدمائه النازفة. وفجأة شاهد بعض الأضواء على مسافة قريبة منه. وبعد أن دنا منها رأى أنها تصدر من بيت تجمع فيه عدد كبير من الأشخاص، يستمتعون باحتفال يشبه الاحتفال الذي صادفه من ذي قبل، إن من حيث الموسيقى، أو من حيث وفرة الشراب، وصيحات الفرح.

حين اقترب من الباب دعته شابة جميلة إلى الدخول، وأجلسته على كنبة مريحة قرب موقدٍ تتلظى ناره، وسألته ما إذا

Twitter: @ketab_n

كان يريد نبيذاً، أم شراب العسل؟ فكر إيناتو أن النبيذ سينعشه بعد مسيره الطويل أكثر من شراب العسل. انطلقت الفتاة مسرعة كي تحضر له ما طلب، لكنه وقبل عودتها، وقبل أن يتعرف المحيطين به، غلبه الإعياء فنام.

في الصباح استيقظ على أشعة الشمس التي راحت تداعب وجهه. وعندما فتح عينيه ونظر حوله، تملكته الدهشة، إذ وجد نفسه وحيداً وقد اختفى المنزل والساهرون تماماً، من دون أن يتركوا أي شيء يدل على آثار الاحتفال البهيج الذي كان قد رآه قبل نومه. وبدل أن يجد نفسه جالساً على كنبة مريحة قرب نار تتوهج، وجد نفسه يكاد يتجمّد من البرد ممدداً على صخرة جرداء، عند نقطة تعتبر هي الأعلى فوق الجبال المنحدرة صوب «مينوث بن كورن»، إذ يبلغ ارتفاعها آلاف الأقدام وكان من الممكن أن يهوي إيناتو المسكين من أعلى القمة إلى قعر الهاوية، لو مشى فقط خطوة أو خطوتين أبعد من موضعه ذاك.

Twitter: @ketab_n

البقرة الشاردة

في بقعة نائية من البلدة المرتفعة وراء «آبردوفي»[1]، ثمة بحيرة صغيرة اسمها «لين بارموغ» أو «بركة الملتحي»، ذات مياه سوداء مكفهرة، لم يحدث مرة أن شوهدت سمكة تصعد إلى سطحها، وكانت الطيور تحلّق فوقها عالياً.

ويروى أن الجنيات قديماً كنّ يسكنّ بجوار البركة، ويظهرن أحياناً في الأمسيات الصيفية، متشحات باللون الأخضر، وبصحبتهن كلاب صيد، وأبقاراً بيضاء جميلة.

لم يتمكن أحد من الحصول على شيء منهن أكثر من نظرة عابرة. لكن حالف الحظ مزارعاً عجوزاً، يقيم في «دوسيرنانت»، في الوادي الملاصق «لديفرين غوين»، فاستولى على واحدة من «الغوارثيغ إي لين»، أي «أبقار البحيرة»، بعدما وقعت في حب ثور من ثيران قطيعه.

(1) قرية تقع على مصبّ نهر ديفي على الساحل الغربي من ويلز (م).

Twitter: @ketab_n

ومنذ استحواذ المزارع على البقرة الجنيّة، تحسّن حالُه. فهو لم يعرف قطّ مثيلاً لتلك البقرة، ولا لعجولها، ولا للحليب الذي كانت تدرّه، ولا للزبدة والجبنة التي يجنيها منه. لقد ذاع صيت الـ «فوتش غوفيليورن»، أي «البقرة الشاردة»، في أنحاء القسم الأكبر من ويلز، المعروف بـ «رهونغ إي جوي آفون» أو «بلاد ما بين النهرين» ويقصد بذلك المنطقة ما بين نهري «ماوذاتش»، و«دوفاي»، وتحول المزارع الفقير إلى رجل غني، يمتلك قطعاناً هائلة العدد، تملأ الجبال.

لكن الغنى الفاحش أفقده صوابه، وقبل أن تصبح البقرة الجنيّة عجوزاً، فكر بأن يسمّنها ويبيع لحمها في السوق. ولما سُمنت، بدت مختلفة عن الأبقار الأخرى، لأنها بلغت من الضخامة مبلغاً لم يتوصل إليه أي حيوان سواها كان قد سمّنه صاحبه.

ثم جاء يوم الذبح، واجتمع الجيران من كل مكان ليشاهدوا العملية، حيث تمّ تقييد البقرة رغم خوارها النائح ونظراتها المتوسلة. وأخذ المزارع يحصي ما سيربح من نقود، ورفع الجزّار يده اليمنى ليهوي على عنق البقرة بالضربة القاضية.

Twitter: @ketab_n

لكن وفي اللحظة التي هوى فيها بالسكين، دوّت صيحة هائلة زلزلت الهضاب وارتجّت لها أركان السماء. فشُلّت يد الجزار وسقطت السكين من يده. نظر الجمع إلى الناحية التي صدر منها الصوت فرأوا وقد اعترتهم الدهشة صورة امرأة متشحة بثوب أخضر، رافعة ذراعيها، وهي تقف على أحد المنحدرات المطلة على «لين بارفوغ»، وتنادي بصوت عالٍ كالرعد:

«تعالي يا صفراء إينيون.

يا ضائعة القرنين، يا بقرة البحيرة المرقطة،

ويا دودين المجرد من القرون

انهض وعد إلى البيت».

وما إن تفوهت بتلك الكلمات حتى نهضت البقرة الجنيّة، هي وسلالتها كلها حتى الجيل الرابع، واتجهت الماشية كلها نحو البركة.

حين صحا من ذهوله، ركض المزارع بأقصى سرعته خلف الأبقار، وعندما وصل إليها لاهثاً منقطع الأنفاس، رأى السيدة

Twitter: @ketab_n

الجنيّة محاطة بالأبقار والعجول تغوص وسط البحيرة على مهل، واختفى الجميع تحت سطح المياه الداكنة، تاركين وراءهم زنبقة الماء الصفراء في المكان الذي اختفوا فيه.

وتحوّل المزارع من غني إلى فقير، لكنهم قلة من شعروا بالأسف لحاله، لأنه قابل الإحسان بالجحود، بشروعه في قتل من أحسن إليه.

Twitter: @ketab_n

بحيرة بالا[1]

في الزمن السحيق، في المكان الذي تجري فيه اليوم بحيرة «بالا» كان ثمة وادٍ. وفي أحد القصور العظيمة في وسط الوادي، كان يعيش أمير شرير جائر، وكما يقول المثل «الحاكم الماكر الذي يحكم شعباً فقيراً، هو مثل أسد مفترس أو دب ثائر». كان لا يخشى الله ولا يأبه لإنسان مهما علا شأنه، فظلم واضطهد سكان مقاطعات «بينللين» الخمس، حتى وصلت أخباره إلى رجال «مايريون».

اشتكى الناس ظلمه للرب، الذي أرسل يحذره من تماديه في ذلك. ذات يوم وحينما كان الحاكم الشرير يتمشى في حديقته، سمع صوتاً يقول: «إن يوم الانتقام آت». لكنه ضحك بسخرية من هذا النذير، وبدا حينها أنه على حق في سخريته، فقد ازدهرت أحواله إلى أقصى الحدود: فقد كوّن ثروة وتزوج من سيدة نبيلة، أنجبت له ابناً.

(1) هي كبرى بحيرات ويلز الطبيعية وكانت تشتهر بكثرة فيضان الماء فيها (م).

Twitter: @ketab_n

وبمناسبة ولادة ابنه، أرسل خدمه لدعوة وجهاء البلدة يدعوهم إلى حضور حفل كبير. اعتذر بعضهم، لكن بعضهم الآخر لبّى الدعوة. وفي المناسبة قُدّمت أفخر أنواع الشراب واللحوم الشهية، ولم توضع على المائدة سوى أواني الذهب والفضة، أو تلك المصنوعة من قرن الجاموس.

في تلك الليلة حكى المدعوون حكايات بهيجة، وغنّوا أغنيات فرحة، ولما ملّوا سماع الحكايات، قاموا إلى الرقص على موسيقى القيثارة. عند منتصف الليل جاء وقت الاستراحة، وبينما كان عازف القيثارة يرتاح وحيداً في إحدى الزوايا، سمع فجأة من يهمس في أذنه: «الثأر، الثأر» فالتفت على الفور إلى ناحية الصوت، فرأى طائراً يحوم حوله. وبعدما لفت الطائر انتباه العازف، طار ببطء صوب الباب. لم يلحق العازف بالطائر، فعاد ثانية، وهمس بوضوح في أذنه: «الثأر، الثأر». وطار بعدها مجدداً صوب الباب، وهو يومئ للعازف كي يلحق به كما في المرة السابقة، فتبعه العازف هذه المرة، وعندما أصبح في الخارج تردد في اللحاق به، لكن الطائر عاد إليه مرة ثالثة وهمس: «الثأر، الثأر» بصوت نائح وحزين.

Twitter: @ketab_n

خشي العازف من مغبة رفض التحذير، وانطلق يمشي في الاتجاه الذي يسلكه الطائر، بين الآجام والمستنقعات، وكان الطائر يحوم أمامه طوال الوقت، ليرشده إلى المسالك الأكثر سهولة وأماناً. كان العازف إذا ما توقف للحظة واحدة يعود الطائر ويهمس له: «الثأر، الثأر». فشعر أنه مجبر على مرافقة الطائر. أخيراً وصل إلى قمة هضبة، تبعد قليلاً عن القصر، وكان في هذا الوقت قد تعب كثيراً لأنه رجل عجوز، فتوقف ليرتاح، وتوقع أن يسمع مجدداً تحذير الطائر كما في السابق. لكنه هذه المرة أنصت بدقة، ولم يسمع سوى وشوشة صغيرة تكاد لا تُفهم. قال لنفسه: «كم كنت غبياً وأحمقَ حين قبلت بأن يتم اقتيادي من القصر بهذه الطريقة. لابد من أنهم يبحثون عني الآن لأعزف لهم لحن الرقصة الثانية، ويجب أن أسرع في العودة».

إلا أن العازف العجوز ضل طريقه على الهضبة، لشدة اضطرابه وقلقه ورغبته بالإسراع في العودة إلى القصر. فوجد نفسه مضطراً إلى البقاء حيث هو منتظراً بزوغ الفجر. وعندما أطلت هالة الشمس فوق جبال «بيروين»، التفت صوب جهة القصر، وشعر بالدهشة والذهول العارمين حين لم يرَ له أثراً. كان الوادي كله قد تحوّل إلى بحيرة هادئة كبيرة، وبدت قيثارته طافية تعوم فوق المياه.

Twitter: @ketab_n

البحيرة المحرّمة

يُحكى أن صبياً في الثانية عشرة من عمره، وغالباً ما كان والده يرسله ليرعى الأغنام في جبل «فرنّي فاتش». ذات صباح باكر من شهر يونيو ساق الأغنام إلى المرج لتمضية النهار هناك، ثم راح يحدّق مليّاً في قمة «فرنّي فاتش» ليرى من أي اتجاه يهبط ضباب الصباح. ورغم صغر سنه، كان الصبي خبيراً بأحوال الطقس، فهو يعرِف أنه إذا هبط الضباب من جهة مقاطعة كارديفان فسيكون الطقس فظيعاً. لكن كان الضباب متجهاً إلى مقاطعة «بيمبروك»، فاستبشر الصبي بنهار رائع، وراح يدندن لحناً فرحاً، عندما نظر حوله ورأى على مسافة بعيدة شيئاً ما، بدا له كأنه ثلة من الجنود، وهم منهمكون في أمر ما، لم يستطع تحديد طبيعته في البداية. فكر ملياً وقال في نفسه: «من غير المعقول وجود جنود على الجبل في وقت مبكر كهذا». وصعد إلى قمة تلة صغيرة، فرأى أنهم أصغر بكثير من أن يكونوا جنوداً. قال الصبي في نفسه: «أليس من الممكن أن يكون هؤلاء من الجن؟».

Twitter: @ketab_n

لقد سمع عنهم الكثير، وشاهد حلقات رقصهم، لكنّ عينيه لم تقعا عليهم أنفسهم قطّ من ذي قبل. في البداية فكر في أن يركض إلى البيت ليخبر أباه وأمه بذلك، لكنه فكر أيضاً في إمكانية اختفائهم قبل عودته، وفي أن والديه قد يمنعانه من العودة– لأن كثيراً من الناس يخشون الجن– فتخلى عن فكرة إخبار والديه.

وبعد أن تردد بعض الوقت، صمّم على الاقتراب منهم قدر المستطاع، فدنا حتى وصل إلى مسافة قريبة من مكان تواجدهم، حيث راح يراقب تحركاتهم لبعض الوقت. كانوا أشخاصاً صغار الحجم من الذكور والإناث، وهم من أجمل المخلوقات التي رآها في حياته. فبعضهم يرقصون، ويدورون في حلقة متشابكي الأيدي، وبعضهم الآخر يمتطون جياداً بيضاء صغيرة، يجرون بها هنا وهناك، ويرتدون ثياباً متنوعة الألوان، يغلب عليها اللونين الأبيض والأرجواني. وقد اعتمر الذكور قبعات حمراء ثلاثية الجوانب، فيما اعتمرت الإناث أوشحة خفيفة، تتمايل بنعومة مع النسيم. كان الجميع يضحكون ببهجة غامرة. وبعد قليل لاحظوا وجود الصبي بينهم، فتقدموا منه باسمين ودعوه لمشاركتهم احتفالهم. ثم راح الصبي يتقدم منهم تدريجياً، حتى جازف أخيراً بوضع قدمه في الحلبة. وما كاد يفعل ذلك حتى

Twitter: @ketab_n

فتنت أذناه بموسيقى أطربته أكثر من كل الموسيقى التي سمعها في حياته، وما إن وطأت قدمه الأخرى الحلبة، حتى لم يجد نفسه في حلقة الجن التي على سفح الجبل، بل في قصر فخم يتلألأ بالذهب واللؤلؤ. وسرعان ما أحاطت به كافة ضروب الجمال والبهجة والسرور، وراح يتجول بحرية أينما يشاء. وكانت تقف على خدمته في حركاته وسكناته شابة لا مثيل لها في الرقة. وبدلاً من «إلتاتوس آللايث» (أي البطاطس وزبدة الحليب وسائر الهراء الذي كان معتاداً عليه)، قدموا له أفخر أنواع اللحوم في أطباق فضية. وبدلاً من بعض الجعة وهو الشراب المسكر الوحيد الذي تذوقه من قبل، قدّموا له النبيذ الفاخر الأصفر والأحمر، في أوعية ذهبية، مطعّمة بالجواهر الثمينة. كان هناك قيد واحد فقط يحد من حريته: ممنوع عليه أن يشرب من جدول معين في الحديقة، مهما كانت الدواعي والظروف. إذ أنه في ذلك الجدول ثمة أسماك تسبح، تتنوع ألوانها بين الذهبي والفضي وألوان أخرى. وكان يحصل كل يوم على أنواع مختلفة من البهجة، وتُبتكر لأجله أشكال حديثة من التسلية، وتقدم إليه وجوه جديدة تعرّفه بنفسها، تفوق الوجوه التي عرفها سابقاً رقة وجمالاً. وبعد أن نال الصبي كل ما يتمناه إنسان، حدثته نفسه في نيل الشيء الوحيد المحرّم، مثلما كان قد حدث لحواء في

Twitter: @ketab_n

الفردوس، التي دمرها الفضول. ذات يوم، وحينما كان على مقربة من الجدول، يتأمل الاسماك تسبح في المياه، وحين لم يكن هناك من أحد يراه، قام بإنزال يده في الماء، وعلى الفور اختفت الأسماك، ولما قرّب الماء من فمه، انطلقت صرخة مدوية في الحديقة، وما إن شرب، حتى اختفى القصر وكل ما حوله، ووجد نفسه على الجبل في المكان الذي كان يقف فيه قبل أن يضع قدمه في حلبة الجن. وكانت الأغنام ترعى حيث تركها، والضباب لم يتحرك من مكانه ببطء. كان الصبي يظن أنه قد غاب في بلاد الجنّ لسنوات، لكنه في الحقيقة لم يغب سوى دقائق معدودات.

Twitter: @ketab_n

تودور أب إينيون[1]

ينبغي أن يكون الشرير الذي أطلق اسم « قلعة الغربان» على المنخفض المعروف باسم «نانت إر إللون» أو «وادي العفاريت» الواقع عند منتصف المسافة الممتدة من «ليانغولن» إلى «ديناس بران» أو قلعة بران، قد مات شنقاً، وجُرجر في الطرقات وقُطِّع إرباً.

وفي الماضي البعيد كان ثمة شاب يدعى «تودور إينيون غلوف»، قد اعتاد على رعاية غنم سيده في ذلك المنخفض. ذات ليلة صيفية، وحينما كان تودور يتحضر للعودة مع قطيعه إلى الأراضي المنخفضة، رأى فجأة كائناً صغير الحجم يجثم على صخرة قريبة منه، وقد ارتدى سروالاً من الطحالب، وحمل كماناً تحت ذراعيه. كان أصغر نموذج بشري يمكن تصوره. وكان معطفه مصنوعاً من أوراق شجر «البتولا»، وعلى رأسه قبعة من الوزّال. أما في قدميه فقد انتعل خفاً صنع من أجنحة الخنافس.

---

(1) Tudor Ap Einion

Twitter: @ketab_n

مرّر الكائن أصابعه فوق أوتار الكمان، فانبعثت موسيقى اقشعرّ لها جلد تودور. ثم قال الرجل لتودور: «نوس داوتش، نوس داوتش» أي «طاب مساؤك، طاب مساؤك». رد تودور: «آك إي تريذاو»، أي «ومساؤك أيضاً». تابع الرجل الصغير كلامه قائلاً: «أنت مولع بالرقص يا تزدور، وإذا تمهلت قليلاً فقط سوف ترى أحد أفضل راقصي ويلز، وهو أنا». ثم أضاف نافخاً صدره: «وأنا موسيقيّ أيضاً». سأله تودور: «أين قيثارتك؟ إن الرجل الويلزي لا يستطيع الرقص من دون العزف على قيثارة». رد الكائن الصغير بسخرية: «قيثارة؟!»، قاطعه تودور سائلاً: «أهذا كمان؟ أهذا اسم الملعقة الخشبية ذات الأسلاك التي تحملها بيدك؟»، إذ لم يسبق لتودور أن رأى كماناً من قبل.

وفي تلك الأثناء، كان تودور قد رأى رغم حلول الغسق المئات من العفاريت الصغيرة الأحجام الجميلة تتوافد من كل أنحاء الجبل، وتتجمع في البقعة التي يقف عندها. كان بعضهم يرتدي ثياباً بيضاء، وبعضهم الآخر يرتدي ثياباً زرقاء، وآخرون يرتدون ثياباً وردية اللون، وكان بينهم من يحملون حشرات مضيئة بمثابة المصابيح، ويسيرون بخفة فائقة، فلم تنسحق تحت أقدامهم ورقة عشب واحدة أو

Twitter: @ketab_n

زهرة. جميعهم أحنوا رؤوسهم احتراماً عند مرورهم أمام تودور الذي لم يكن أقل تهذيباً منهم، إذ رفع قبعته وانحنى عند مرور كل منهم.

بعد قليل، داعب العازف أوتار كمانه، فانبعثت منها موسيقى ساحرة خلاّبة سمّرت تودور في مكانه. وتحت تأثير الموسيقى العذبة، انقسم الجن مجموعات، وراحوا يرقصون. وعندما عزف ضابط الإيقاع ألحاناً سريعة ازدادت سرعة الراقصين. لم يكن تودور قد شاهد في حياته ما يماثل رقص الجن. كان رقصهم شعراً نُظّم بالحركات، وكانت «سيان لان» أفضل راقصة في المنطقة الممتدة على مساحة عشرة أميال من «لينغولن»، وقد شاركها تودور الرقص مرات عديدة، في السهرات والاحتفالات التي تقام في «غلون كابريوغ». لكن بدا رقصها بليداً مملاً بالمقارنة مع ما يراه من الجن الآن.

شعر تودور برغبة في قدميه للرقص، لكنه لم يستطع التوقف عن متابعة الموسيقى العذبة، وإن لم يشارك في الرقص. أراد أن يصعد إلى السماء مبكراً، رغم أنه لم يكن على عجلة من أمره. لكنه كان قد خطر له أن أمر مشاركة الأغراب الرقص فوق الجبل ليس هو الطريقة المثلى المباشرة للدخول إلى الجنة، على أنغام عازف، من الجائز أن يكون هو الشيطان نفسه.

Twitter: @ketab_n

ازداد إيقاع الموسيقى سرعة، وازدادت حركة الرقص جنوناً وظل جسد تودور مشدوداً متسمّراً في مكانه. ناداه الكائن الصغير قائلاً: «تعال ارقص يا تودور». لكن هذا كان حذراً بما فيه الكفاية فقال: «لا، لا، تابعوا الرقص، أيها الرائعون الصغار، فأنا يكفيني أن أشاهدكم وأتأملكم بإعجاب».

أصبحت الموسيقى أكثر عذوبة والرقص أكثر إغراءً من ذي قبل. تابع تودور النظر إليهم باهتمام أكبر، ودب الحماس الزائد بقدميه ويديه أكثر فأكثر، حتى فقد السيطرة على نفسه، ودخل إلى حلبة الرقص، وصرخ: «أنا لها»، ورمى بقبعته في الهواء وصرخ: «استمر بالعزف يا عازف الكمان».

وما إن تلفظ تودور بهذه الكلمات، حتى تغيّر كل شيء. اختفت القبعة المصنوعة من الوزال عن رأس ضابط الإيقاع، ونبت مكانها زوج من قرون الماعز، وأصبح لون وجهه أسود كالفحم، وبرز له ذيل طويل من معطفه الورقي، وحلت محل فردتي الحذاء المصنوعين من أجنحة الخنافس حوافر مشققة، فدبّ الرعب في قلب تودور ثقيلاً، وشعر بالخوف يجثم على صدره، إلا أنه لم يستطع إيقاف حركة

Twitter: @ketab_n

قدميه. تغيرت أشكال الجن إلى صور مختلفة: فمنهم من ظهر على هيئة الماعز، ومنهم من ظهر على أشكال الكلاب أو الثعالب، ومنهم من ظهر على أشكال القطط.

لقد كانت هذه المجموعة أغرب المجموعات المرافقة التي تحيط بكائن بشري. وفي النهاية تطور الرقص ليصبح رقصاً عنيفاً وصاخباً جداً، فلم يستطع تودور تمييز أشكال الراقصين. كانوا يدورون من حوله بسرعة كبيرة حتى بدوا كدولاب من النار. استمر تودور بالرقص، فاقداً السيطرة على نفسه، فلم يستطع التوقف، لأن موسيقى الجني كانت شديدة التأثير فيه، مستحوذة عليه، لأن ذلك المخلوق ذا القرنين استولد أروع الألحان من الكمان بخفة وبراعة ومهارة. واستمر على هذه الحال طوال الليل. وفي الصباح التالي صعد سيد تودور إلى الجبل ليرى ماذا حلّ بأغنامه وراعيها، فوجد قطيعه بخير، لكنه دهش لرؤية تودور وهو يدور كالمجنون في وسط المنخفض بمفرده. فصرخ تودور منادياً سيده: «أوقفني يا سيدي، أوقفني». أجابه سيده: «توقف عن هذا، ماذا دهاك بحق السماء؟». ولدى سماعه هذه الكلمات، تهاوى تيودور لاهثاً، منهكاً عند قدمي سيده. وبعد ذلك مر وقت طويل قبل أن يستعيد وعيه وتنتظم أنفاسه، ليتمكن من أن يشرح لسيده أسباب تصرفه الغريب هذا.

Twitter: @ketab_n

عكازة الجنية

كان أحد المزارعين يرعى غنمه في كوملان عندما سمع صوت نحيب. وتقول القاعدة العامة إن البشر وحدهم يصدرون أصواتاً عند بكائهم، لكن المزارع فوجيء كثيراً لأنه لم يرَ أي إنسان آخر في الجوار. ما كان منه إلا أن ذهب في اتجاه مصدر الصوت.

ظل لوهلة قصيرة غير قادر على تحديد الجهة التي ينبعث منها النحيب، إلا أنه وبعد مُضي وقت قليل رأى فتاةً صغيرة مستلقية على حافة صخرةٍ ضيِّقة عند منحدرٍ كبير. كانت الفتاة تبكي حتى كاد قلبها ينفطر. ذهب المزارع لمساعدتها، وبصعوبة بالغة تمكن من إنقاذها من هذا الموقف الخطير. عقب ذلك ببرهة، ظهر شيخ وقال له: «أشكر لك موقفك النبيل هذا مع ابنتي. أرجو أن تقبل مني هذه على سبيل التذكار جزاءً على عملك النبيل». ثم قدّم له عكازة.

أخذ المزارع العكازة، واختفى الشيخ مع ابنته الصغيرة عن ناظريه. وفي السنة التالية ولدت كل نعجة من نعاج قطيعه

Twitter: @ketab_n

حملين. واستمر الحال على هذا النحو لسنوات عدة. حيث غدا قطيعه هو القطيع الوحيد الذي لم يتعرض لأي أذىً أو مرض طوال كل تلك السنين. فكانت محاولات سارقي الخراف الأشرار التي تدبر ضد قطيعه دائماً يتم إحباطها. كما أن الطيور الجارحة لم تكن تقترب قطّ من القطيع لنقر أعين الحِملان الصغيرة. حتى عندما فتك الطاعون بالقطعان الأخرى، لم يتأثر قطيعه بذلك البتة. وحين كانت ثلوج الشتاء الجارفة تطمر القطيع كان يقوم بانتشالها من بين الثلوج وهي في أفضل حال، وصارت أصواف خرافه أيضاً هي الأفضل والأغلى ثمناً من صوف كل الخراف الأخرى في القرية. وها قد أصبح المزارع غنياً محسوداً من الناس جميعاً. في إحدى الليالي، بعدما كان قد أنزل خرافه عن الجبل، خوفاً من المطر، ذهب المزارع إلى قرية بعيدة لاستبدال ديكهُ المقاتل بديكٍ مقاتلٍ آخر، يمكنه التغلّب على كل من ينازله. إلا أن الوقت كان قد تأخر قبل أن ينطلق المزارع إلى بيته إثر هبوب عاصفة كبيرة هوجاء.

وها هي الريح تعصف والأمطار تهطل بغزارة ويخيّم الظلام المرعب على الأرض. وفي طريق عودته إلى البيت، كان لزاماً عليه أن يجتاز نهراً من الماء سيراً على بعض الحجارة المنثورة

Twitter: @ketab_n

فيه. وما إن اقترب من الضفة حتى فاض النهر وجرف كل شيء أمامه. وبطريقة أو بأخرى، وفيما يتحسس الصخور بالعكازة التي كان قد أعطاه إياها الشيخ انزلقت من يده وجرفها السيل الهائج، فلاذ بالهرب قبل أن تجرفه المياه هو أيضاً. إذ ذاك قفل عائداً إلى بيته وفي الصباح خرج ليبحث عن عكازته ويتفقد الخراب الذي سببه الفيضان. فاكتشف أن معظم قطيعه قد جرفه السيل. وهكذا ضاعت ثروته مع العكازة مثلما كانت قد جاءت بفضلها.

Twitter: @ketab_n

نقود «ديك» المخادع

كان «ديك» عازف الكمان ينفق على الشراب كل ما يكسبه من المال من عَزفه في المناسبات السعيدة والأفراح والمعارض. وبعد أسبوع من الشراب والثمالة في «داروين» قَفَل عائداً في إحدى الليالي يشق طريقه إلى بيته وزوجته وأولاده. وكان لزاماً عليه أن يعبر «طريق الجن الأخضر»، الواقعة فوق مزرعة «كيفن كلوثو». فجأة وعندما وصل إلى تلك الطريق شعر بالتوتر والخوف. وفيما هو يغذّ السير، ولكي يطرد الخوف، أخرج آلته الحبيبة وبدأ يعزف أغنيته المفضلة «جناح الغراب الأسود». وما إن اجتاز العشب الأخضر حيث اعتادت الجنيات أن تمرح، شعر فجأة بأن وزن كمانه صار ثقيلاً جداً، وراح يسمع أصداءً ورقصاً في داخله. استمر هذا الصوت حتى وصوله إلى البيت. لدى دخوله إلى الكوخ كان عليه الاستماع إلى موسيقى أعلى صدى من تلك التي كانت تنبعث من كمانه. كان ذلك صوت زوجته الغاضبة لغيابه عنهم وإهماله لهم، والتي راحت تصفه

Twitter: @ketab_n

بأقذع الصفات التي يستحقها من وجهة نظرها من مثل: عاطل- أحمق- سِكّير وهلمّ جرا. ثم قالت الزوجة له: «بأي وجه حق والبيت مليء بالأطفال شبه العُراة تذهب إلى المدينة لتبدد المال القليل الذي تكسبه على الشراب؟ لقد جاء صاحب البيت صبيحة هذا اليوم وقال إنه سيطردنا إن لم نسدد الإيجار المتراكم علينا؟ فماذا بوسعنا أن نفعل آنذاك، وأنت بددت كل ما كسبته على الشراب كالمعتاد، ولا تملك قرشاً واحداً في جيبك؟». قال ديك: «صه، صه، اسكتي يا امرأتي الطيبة، وانظري ماذا يوجد في كماني القديم. انصاعت إلى ما طلب منها وهزت الكمان، فسقطت منها خمس قطع من النقود الذهبية الجديدة البراقة. إنه مبلغ أكثر من كافٍ لدفع الإيجار. خبأت الزوجة النقود فوراً في مكان آمن وسألته كيف حصل على هذا المبلغ فأخبرها بما حدث معه.

وفي اليوم التالي ذهب إلى لانيدلوس كي يدفع الإيجار. وكم كانت دهشة صاحب البيت كبيرة لأن «ديك» أتى، هذه المرة لا لطلب الرحمة والشفقة مثلما تعوَّد أن يفعل بل ليدفع الإيجار المتوجب عليه، وتأكيداً من مالك البيت على صدقية ديك أعطاه إيصالاً بالمبلغ. ثم ذهب ديك الظمآن إلى

Twitter: @ketab_n

حانة «يونيكورن»، ليجرب جعة «بيتي برانت» قبل عودته إلى المنزل. ولم يكد يحتسي بضعة كؤوس، حتى دخل صاحب المنزل في حال من الدهشة قائلاً له: «من أين حصلت على النقود التي أعطيتني إياها؟».

سأل ديك: «لماذا تسألني عن مصدر النقود، ما بالها؟».

أجاب الرجل: «إن النقود التي أعطيتني إياها تحولت إلى أصدافٍ».

قال ديك وهو يُبرِز الإيصال منتصراً: «حسناً إذن، هذا ليس من شأني، لقد كانت نقوداً حقيقية عندما أعطيتك إياها وها هو إيصالك باستلامها معي. لابدّ من أن أحداً قد سحر النقود».

لم يقدّم ديك لصاحب البيت أي إيضاحات أكثر، رغم أنه كان في أقصى حالات سُكره. وبعد انقضاء تلك الليلة، لم يستطع أحد أن يستدرجه إلى البوح بأي معلومات عن مصدر النقود التي دفعها إلى صاحب المنزل.

Twitter: @ketab_n

كلب الماء العجيب

ذات يوم ذهب صديقان معاً لاصطياد كلاب البحر على ضفاف نهر «بينانت» في منطقة «ميريونمشاير[1]». حين أصبحا على مقربة من النهر شاهدا مخلوقاً صغيراً أحمر اللون يركض مسرعاً عبر المروج باتجاه المياه. فانطلقا خلفه، لكنهما وقبل أن يتمكنا من التقاطه توارى مختبئاً تحت جذور شجرة على حافة النهر. ظن الرجلان أنه واحد من كلاب البحر، لكنهما في الوقت نفسه لم يستطيعا أن يفهما سِرَّ لونه الأحمر القاني. كانا يريدان التقاط هذا النموذج الغريب حيّاً، فقال أحدهما للآخر: «اذهب أنت إلى البيت واجلب كيساً، بينما سأبقى هنا أراقبه». وتحت جذور الشجرة كان ثمة حفرتان حيث أمسك واحد منهم الكيس فاغراً فمه من الخوف فوق الحفرة الأولى، فيما دفع الآخر عصاه في الحفرة الأخرى، مما دفع بالمخلوق الغريب إلى الدخول قسراً في الكيس، وانطلق الرجلان بسرور عائدين إلى البيت مُعتقدين أنهما فازا فوزاً كبيراً. وفيما كانا يتابعان

(1) إحدى المقاطعات الثلاث عشرة التاريخية في ويلز (م).

Twitter: @ketab_n

طريقهما في أحد الحقول فإذا بالكائن الغريب يتكلم من داخل الكيس بصوت حزين وقال: «آهٍ أمي تناديني، أمي تناديني!». فزع الصيادان كثيراً، وعلى الفور ألقيا بالكيس أرضاً. كانت المفاجأة كبيرة عندما شاهدا كائناً صغيراً، يلبس رداءً أحمر، ويهرع نحو الماء، واختفى عن ناظريهما وسط شُجيرات كانت بجانب النهر. ذعر الرجلان أشدّ الذعر وشعرا أن أكثر الأمور حكمة هو عودتهما إلى البيت وعدم التدخل أكثر من ذلك في شؤون الجن.

Twitter: @ketab_n

الممرضة الجنية

ذهب الزوجان العجوزان اللذان يقيمان في «غارت دورون» إلى «كارنارفون» لاستخدام خادمة للعمل عندهما في «أول هالوفير» (السوق المقدس). فانطلقا إلى نقطة يتجمع فيها الفتيان والفتيات الذين ينتظرون فرصة للعمل. وهناك رأى الزوجان فتاةً ذات شعر ذهبي تقف منفردة على مسافة من الآخرين. فتقدما منها وسألاها ما إذا كانت تبحث عن مكانٍ للعمل، فأجابت: نعم، ورافقتهم فوراً قائلةً إن اسمها إيليان.

في ذلك الزمان كان الناس قد اعتادوا على غزل النسيج بعد العشاء خلال شهور الشتاء الطويلة. كانت إيليان تأخذ خزانتها إلى المرج في الليالي الصافية حيث يكون القمر مشعاً ومضيئاً. واعتادت العائلة على المجيء معها لمساعدتها. وفي تلك الأمسيات أنجزت لهما كميات ضخمة من الغزل والنسيج حيث كانت فرحة العجوزان بها كبيرة لأنهما تمكنا أخيراً من الحصول على خادمة كهذه.

Twitter: @ketab_n

لكن سعادتهما لم تدم طويلاً. ففي الربيع، حين بدأت الأيام تطول، اختفت إيليان، فظنوا أنها ذهبت مع عائلة الجن، وكانوا هذه المرة على حق.

وهكذا تم اكتشاف أن إيليان كانت من الجن. وفي منطقة «غارت دورون» كانت تعيش امرأة عجوز ممرضة. وبعد اختفاء إيليان لوهلة قصيرة، وفي ليلة كان القمر فيها مكتملاً ومن سحابة صغيرة بدأت زخات المطر تتساقط برقة، فإذا برجل يمتطي حصاناً تبدو عليه سمات النبل جاء يبحث عنها. فإذا بالمرأة العجوز تمتطي الحصان خلف الرجل الغريب، قاصدة منطقة «روزي كورت». فترجَّل الاثنان ودخلا كهفاً كبيراً، وعبر بابٍ عند نهاية الكهف دخلا إلى إحدى غرف النوم حيث كانت إحدى السيدات تستلقي على سريرها. وقد كان ذلك المكان أجمل مكان رأته العجوز في حياتها. فهي لم تكن تسمع أو ترى شيئاً هناك سوى الرجل الذي أحضرها، والأم والطفل. وازداد فضولها عندما رأت طعاماً شهياً مُجهزاً للأم وكل ما كانت تريده كان يحضَر بواسطة قوة غير مرئية. لم يُحَلّ اللغز إلا في ذلك الصباح حين أعطاها الزوج زجاجة مرهم لدهن عيني الطفل.

Twitter: @ketab_n

قال الرجل لها: «انتبهي، لا تدعيه يلامس عينك وإلا حلت اللعنة عليك». وعدته العجوز بأن تكون حريصة، لكنها بطريقة أو بأخرى، شعرت بما يدفعها إلى أن تحك عينها اليسرى. وبعدما وضعت الزجاجة جانباً، ومن دون أن تدري حكتها بإصبعها التي دهنت بها عين الطفل. إذ ذاك حدث شيء غريب، حيث استعادت عينها اليمنى الرؤية، تماماً كما كانت من ذي قبل. وكان ذلك أمراً رائعاً يتمناه القلب. أما العين اليسرى فقد مكنتها من رؤية كهف بائس. كما أنها رأت خادمتها السابقة إيليان على صخرة كبيرة محاطة بنباتات السمار والسرخس الذابلة. لكنها في وضح النهار كانت ترى أكثر من ذلك بكثير، حيث كائنات ذكور وإناث صغار الأحجام يدخلون ويخرجون. وكانت حركتهم خفيفة كنسيم الصباح. وكانوا يعدّون الطعام بمهارة وبسرعة فائقتين، ويقدمونه لإيليان بحب وعاطفة ملحوظين.

في المساء قالت المرأة العجوز: «كان لديكِ زوار كُثر جداً اليوم، يا إيليان». أجابت إيليان: «نعم، ولكن كيف تعرفينني؟» فشرحت العجوز لها كيف أنها لامست بإصبعها الملوثة بمرهم الطفل عينها اليسرى عن طريق الخطأ. قالت

Twitter: @ketab_n

إيليان: «احذري أن يكتشف زوجي أنك عرفتني». ثم أخبرت المرأة العجوز قصتها، وأنها كانت أثناء غزلها تتلقى المساعدة من الجن، شريطة أن تتزوج واحداً منهم. ثم أضافت قائلة: «لم أقصد قطّ أن أُنفذ الاتفاق، وحين أكون في المرج كنتُ أُشهرُ سكيناً كلما أزعجوني بهذا الموضوع، وقد كان ذلك يجعلهم يختفون في الحال. وخوفاً من أن يأخذوني عندما أكون نائمة وضعت ضفائر طويلة من نبات الغبيراء فوق سريري، لأن الجن لا يتجرأون على لمسها أو تخطيها. وقد جعلني ذلك في مأمن منهم لردح طويل من الزمن، حتى إنني نسيت الموضوع بالكامل. وفي يوم جَزَّ صوف الخراف، حين كنت منهكة من التعب، ونَسيت كعادتي أن أقوم بواجبات حماية سريري، في الليلة نفسها نقلوني إلى أرض الجان.

صارت العجوز حذرة جداً بعد إنذار إيليان هذا، ولم تمنح الزوج الجني أي دليل على امتلاك عينها اليسرى قوى مختلفة على الرؤية عن العين اليمنى. وهكذا أنهت إيليان عملها من دون أن يمسها أي سوء، ثم أخذها الجني إلى البيت على ظهر حصان، كما أحضرها وأعطاها مبلغاً كبيراً من المال لقاء خدماتها.

Twitter: @ketab_n

وبعد انقضاء القليل من الوقت ذهبت العجوز إلى السوق متأخرة. وعندما وصلت قالت لها صديقتها: «لابدّ من أن يكون الجن هنا اليوم، فالضجيج يشتدُّ والأسعار ترتفع». من المؤكد أن الجن كانوا هنا، لكنهم غير مرئيين للأعين كلها ما عدا عين العجوز اليسرى. فقد شاهدت زوج إيليان وهو يسرق شيئاً من الكُشك القريب منها، فتوجهت إليه ناسيةً تحذير إيليان وقالت: «صباح الخير سيدي: كيف حال إيليان؟»، أجاب الجني: «إنها بخير، ولكن بأي عين تستطيعين رؤيتي؟»، قالت المرأة العجوز مشيرةً إلى عينها اليسرى: «بهذه». فما كان منه إلا أن اقتلع عينها فوراً بواسطة قصبة بُردى، وكان على عينها اليمنى أن تقوم بمهمة الاثنتين معاً طوال ما تبقى لها من حياة.

Twitter: @ketab_n

بيرجرين وحورية البحر

في ظهيرة يوم من أيام شهر أيلول في مطلع القرن الثامن عشر، كان ثمة صياد اسمه بيرجرين من شارع «دوغميلز» يجذف في قاربه في نهر «بن كاميس». وعن طريق المصادفة نظر إلى أعلى الصخور، وقد ساوره الظن أن ثمة ظل حورية في خلوة في منحدر صخري. وبما أنه كان رجلاً فضولياً قرر أن يرى ماذا تفعل السيدة الغريبة. وقدر استطاعته جذف على مهل حتى بلغ اليابسة. نزل من قاربه وتسلق صعوداً نحو فجوة يمكنه التلصص من خلالها من دون أن يراه أحد. فإذا به يرى حورية رائعة الجمال على هيئة صبية من خصرها وما وفوق، ومن جذعها السفلي وما دون، بدت سمكة بزعانف وذيل طويل. كانت منهمكة بتسريح شعرها الطويل، ولم تكن تشك قطّ أنها في مأمن من أن عين أحدهم تراقبها. وطوال الوقت الذي ظل يراقبها فيه لم يتوقف عقله عن مراودته في أن يحملها ويذهب بها بعيداً. وتنفيذاً لما عزم عليه هرع مسرعاً نحوها وحملها بين ذراعيه إلى

Twitter: @ketab_n

قاربه، ربطها فيه بإحكام، مُوَجّهاً مقدمته باتجاه «لاندودوتش»، ثم راح يحرّك مجذافيه بصعوبة. وحينما أدركت الحورية حقيقة وضعها، لكونها امرأة (على الأقل من الخصر وما فوق) بكت وتوسلت إليه أن يتركها وشأنها. ورغم أنه أجابها بلطف شديد إلا أنه لم يستجب لتوسلاتها، بل حملها إلى البيت وحبسها هناك في غرفة. ثم راح يعاملها بحنان كبير ويقدم لها المغريات من مأكل وملبس، لكنها رفضت كل اللحوم والشراب (حتى إنها رفضت نَوْلاً بمئات الفتحات والعيون) ولم تكن تفعل شيئاً سوى ذرف الدموع والتوسل له أن يطلق سراحها. وذات مرة، قال له أحد الرجال من ذوي الشأن والخبرة: «ينبغي علينا الإشفاق على المرأة الباكية بقدر إشفاقنا على الإوزة الحافية». لكن بيرجرين لم يمتثل لهذا القول قط. إن إطلاق سراحها لن يغيّر شيئاً بالنسبة إليه، لأنه كان يعاملها برفق وحنان، متجاهلاً ما تقاسيه نصف المرأة الجميلة التي تصبح حمراء اللون، وذات أنفٍ منتفخ تتدفق المياه المالحة منه الأمر الذي كان له عميق الأثر في نفسه. أضف إلى ذلك انها صارت نحيلة جداً بسبب إصرارها على الإضراب عن الطعام. ومما زاد في قلقه أن صديقاً له أخبره عمّا حدث لرجل في «كونواي» بسبب إقدامه على القبض على إحدى حوريات البحر، التي كانت قد توسلت إليه أن يضع ذيلها في الماء على

Twitter: @ketab_n

الأقل ، لكنه رفض فماتت. وقبل وفاتها حلت لعنتها على صائدها وعلى المكان الذي احتجزها فيه. ومنذ ذلك الوقت انقلبت أحوال الصياد من سيء إلى أسوأ ومات على نحو تعيس جداً. ومنذ تلك الواقعة أصبح أهل «كونواي» كلهم فقراء أيضاً. وكانت قد جرت العادة أنه عندما يحضر أحد الغرباء إلى تلك البلدة التي تشبه شكل القيثارة، يجب أن يعبر المياه إلى «لانسانتفرايد» لتبديل أحواله نحو الأفضل. هكذا وحينما قالت الأسيرة الدامعة العينين لبيرجرين: «إذا أطلقت سراحي، يا بيرجرين، سأمنحك فرصة الاستنجاد بي لثلاث مرات إذا كنت في ضائقة ما»، فَقَبِلَ بيرغرين عرضها، وحملها إلى شاطئ البحر، ووضعها في المياه، وعلى الفور غاصت إلى الأعماق.

مرت الأيام والأسابيع ولم يعد يراها بيرجرين بعد ذلك. فحدث في ظهيرة يوم حار، حين كان يصطاد في قاربه برفقة عدد من الصيادين الذين كانوا منهمكين في البحث عن رزقهم، أن كان البحر هادئاً ولا يكاد المرء يرى سحابة واحدة في السماء، لذلك لم يتبادر إلى ذهن أحد أن خطراً قد يصيبهم. فجأة ظهرت الحورية من المياه الزرقاء الصافية تحت أشعة الشمس، وصرخت بأعلى صوتها منادية:

Twitter: @ketab_n

«بيرجرين، بيرجرين، بيرجرين اسحب شبكتك من المياه، اسحب شبكتك من المياه». وعلى الفور انصاع بيرجرين لأوامرها وبسرعة سحب شبكته وجذف فوق السد باتجاه البيت، وسط سخرية الجميع منه. ولدى اقترابه من الشاطئ هبَّت عاصفة هوجاء وانتشرت فوق البحر: فعصفت الرياح بشدة واندفعت الأمواج كالجبال. فيما كان بيرجرين قد وصل إلى اليابسة بأمان، إلا أن كل الصيادين الباقين، وكان عددهم ثمانية عشر صياداً، ابتلعتهم الأمواج وعثر عليهم في أعماق المياه.

Twitter: @ketab_n

كهف شبان سنودونيا

كان عدد المقاتلين في جيش الملك آرثر المقيمين في كهف «كرايغ إي ديناس» أكبر من أن يحصى. كذلك كان له جيش آخر يرابط في «سنودونيا». كان مكان إقامتهم كهف في منحدر عميق إلى الجهة اليسرى من قمة جبل «لين ليداو»، التي اكتشفوها عندما سقط خروف ذات يوم في الهاوية فشق راع من «من كوم ديلي» – وكان متسلقاً مشهوراً – طريقه بصعوبة متناهية إلى المكان لإنقاذ الحيوان. إلا أن الدهشة تملكته عندما وجد فتحة في الصخرة متوارية جزئياً عن الأنظار، بحجارة متناثرة وبعض الأعشاب. وما إن أزاحها حتى رأى كهفاً واسعاً ممتداً في بطن الجبل. وكان ثمة ضوء يشع في الداخل، فأمعن النظر جيداً فرأى رأى حشداً من المحاربين يصعب تعدادهم، وكلهم نيام، وفي أيديهم صولجانات بيض وبنادق. وظل يراقبهم لوقت طويل علّه يرى علامة تدل على استيقاظهم، لكن أحداً منهم لم يتحرك.

Twitter: @ketab_n

وعندها أدرك أنهم مستغرقون في سُبات عميق شعر برغبة شديدة في الدخول إلى الكهف لاكتشافه. لكنه وبينما كان يتسلل إلى الداخل اصطدم رأسه بجرس معلق فوق المدخل داخل الكهف، فقُرع الجرس، فترددت أصداء دقاته على كل زوايا الكهف الواسع. واستفاق المحاربون جميعاً، وهبوا واقفين، وأطلقوا صرخات مرعبة. أصيب الراعي بهلع مما حدث، فانطلق بأقصى ما لديه من سرعة وكاد يدق عنقه وهو يتجه إلى أسفل الهاوية. ومنذ ذلك الوقت ساءت أحواله الصحية ومات قبل أوانه. وبعد تلك الحادثة لم يتجرأ أحد على الاقتراب مما يسمى «كهف شبان سنودونيا».

Twitter: @ketab_n

إينيون وعائلة الجنّ

حدث ذات يوم أن راعياً صعد إلى الجبل، ليتفقد قطيعه. وبعد فترة من الزمن، خيّم ضباب كثيف على المكان، ولم يعد الراعي يهتدي إلى طريقه، وظل يسير لساعات على غير هدى، حتى اهتدى في نهاية الأمر إلى مكان مزدحم، فيه حلبات دائرية عدة، قدّر أنها هي المكان الذي ترقص فيه عائلة الجن. وتذكر عدداً من الرعاة الذين رقصوا على هذه الحلبات، ثم تواروا بعدها عن الأنظار.

شعر الراعي بالخوف وقرر على وجه السرعة الهرب من المكان. وبينما كان يركض هارباً، التقاه شيخ بدين قصير القامة، وقال له: «توقف يا هذا». وكان في نبرة صوته شيء ما، جعل الراعي «إينيون» يطيعه، ويقف.

سأل الرجل الراعي قائلاً: «لماذا تركض؟».

أجاب إينيون: «أريد العودة إلى البيت».

Twitter: @ketab_n

قال الشيخ: «اتبعني، ولا تفه بكلمة، حتى آذن لك». لم يجد الراعي مفرّاً من إطاعته، فسار خلفه حتى انتهيا إلى صخرة بيضاوية الشكل. فضرب الشيخ الصخرة بعكازته ثلاث مرات، فارتفعت كاشفة عن ممرّ ضيق يؤدي إلى باطن الأرض.

قال الرجل للراعي: «اتبعني ولا تخف، فلن يصيبك أيّ أذى». مشى الشاب خلفه وجلاً كمن يُساق إلى حتفه، وسارا في ممرّ مظلم، رغم خيوط النور القليلة، التي كانت تتسرب من بين بعض الصخور، مشكّلة ما يشبه السقف لذلك المكان. وأخيراً انكشف الممر عن قرية خضراء جميلة كثيرة الأشجار. كانت الطيور تغني في الأشجار، وجداول المياه العذبة تجري عبر حقول مفروشة بالأزهار النضرة، مرسلة خريرها المترنّم الرقيق. فتوجها إلى مكان تكثر فيه القصور الفخمة، وقاد الشيخ الراعي إلى واحد منها، وأدخله غرفة الطعام، ثم جلسا معاً إلى مائدة من الفضة، عليها أطباق ذهبية فيها لحوم لذيذة، وأكواب ذهبية مملوءة بأفخر الأشربة. وكانت الأواني هذه ما إن توضع على المائدة، حتى تختفي فور الانتهاء منها. شعر الراعي بالرهبة بسبب ما شاهده، وزاد اضطرابه عندما سمع أصوات أناس يتكلمون في ما بينهم من دون أن يظهر لهم أثر في المكان. وحينها قال الشيخ

Twitter: @ketab_n

للراعي: «الآن يمكنك أن تتكلم كما تشاء». حاول إينيون أن ينطق، لكنه شعر بأن لسانه قد تجمّد ككرة من الثلج.

وبعد قليل دخلت إلى القاعة ثلاث فتيات جميلات، رحن يتأملن الراعي، ثم بدأن يتجاذبن معه أطراف الحديث، لكن لسانه الذي انعقد أبى أن تنحلَّ عقدته فينطق بحرف. اقتربت منه إحدى الفتيات وأخذت تداعب شعره الأجعد الجميل، ثم قبّلته على شفتيه المتوردتين، إذ ذاك شعر الراعي بأن عقدة لسانه قد انحلت، وبأن لديه الكثير من الكلام ليقوله للحسناء التي قبّلته.

أمضى الراعي سنةً ويوماً عند الشيخ وبناته، وهو لا يدري، معتقداً أنه قضى معهم يوماً واحداً فقط. ثم استبدّ به الحنين إلى بيته رغم سعادته. فطلب إلى مضيفه السماح له بالذهاب إلى قريته. فكان رد الشيخ: «انتظر معنا قليلاً، ثم اذهب بعد ذلك». صبر الراعي مدةً، ثم كرّر على مسامع الشيخ رغبته بالرحيل، فكان الجواب الرفض أيضاً.

شعرت الحورية التي قبّلته بالأسى عندما لمست رغبته في مغادرتهم، ولم تكن حاله بأفضل من حالها، فقد شعر هو أيضاً برعشة باردة تجتاح جسده عندما تذكر أن وقت الرحيل قد حان

Twitter: @ketab_n

وعليه أن يغادرهم. لكن الشوق إلى الديار غلب عليه في النهاية، وكرّر طلبه الإذن بالسفر، فوافق الأب على رحيله مُشترطاً عليه العودة مع ولادة القمر الجديد.

كانت فرحة الجميع بعودة الراعي لا توصف، بعدما ساورتهم الظنون أنه قتل على يد أحد الرعاة، أو أنه اضطر إلى الهرب إلى «مرتير تدفيل»[1]، ملجأ الفارين من العدالة، حتى لا يُعتقل أو يُشنق. ولم يخبر إينيون أحداً أين كان، ولا ماذا حدث معه.

وليلة ولادة القمر الجديد، عاد إلى أرض الجن، حيث كانت الحورية في غاية السعادة. لم يمضِ على رجوعه سوى وقت قصير حتى تزوج من حبيبته وراحا يتذوقان معاً طعم السعادة.

وبعد انقضاء مدة قصيرة على زواجهما، شعر إينيون أنه غير مرتاح تماماً في بلاد الجن، ورجا الشيخ أن يسمح له ولزوجته بالعيش في بلاد البشر، ليقيم بين أهله.

لم يجد الشيخ مفراً من الموافقة، ومنح ابنته وزوجها كثيراً من الذهب والفضة والجواهر الثمينة.

انطلق إينيون مع زوجته على حصانين أبيضين بياض الثلج،

(1) بلدة تقع في مقاطعة «غلامورجان» في ويلز (م).

Twitter: @ketab_n

نحو بيته القديم. وتمكن بفضل الثروة التي حملها معه من شراء أراض وعقارات هائلة، وكانا يكرّمان أينما يحلاّن. ولم يمضِ وقت طويل على عودته، حتى بدأ الناس يسألون عن نسب زوجته، فيما هو لم يجبهم عن سؤالهم هذا. فاستنتجوا أنها من عائلة الجن.

وعندما فاتحه أحدهم بهذا الاستنتاج، أكد إينيون صحته بالقول: «بالتأكيد إنها من عائلة جميلة[1]، ولها أختان جميلتان أيضاً. وإذا رأيتم الثلاث معاً، فستتأكدون أنه ليس من صفة تليق بهن أكثر من هذه الصفة».

(1) Fair لعب على معنيين من معاني هذه الكلمة الأول هو الجنية والثاني هو الجميلة (م).

Twitter: @ketab_n

القديس كولن[1] وملك الجن

كان القديس كولن مستاءً جداً من خبث الناس وشرورهم، فقرر الانسحاب والانعزال في جبل متخذاً لنفسه صومعة تحت صخرة في بقعة بعيدة ومنعزلة.

وفي أحد الأيام وبينما كان في مخبئه سمع رجلين يتحدثان عن «جوين آب نَد» حاكم «آنون»[2] و«ملك الجان». أخرج كولن رأسه من الصومعة وقال لهم: «صونا لسانيكما عن ذكر هؤلاء فهم ليسوا سوى شياطين».

قالوا له: «نصون لساننا؟ سيصيبك الأذى على أيديهم». ثم سد باب صومعته بالصخرة على نفسه. وبعد قليل سمع طرقاً على بابه وصوتاً يسأله إن كان موجوداً في الداخل. قال كولين: «نعم هذا أنا، من الطارق؟».

(1) القديس الذي اشتق منه اسم مدينة «ليانغولن» الويلزية، فـ «ليان» تعني مكان أو مسقط رأس، وجولن، هو القديس كولن في اللفظ الويلزي، والقديس كولن هو راهب من القرن السابع أسس كنيسة بجوار النهر هناك (م).

(2) في الأساطير الويلزية «آنون» هو العالم الآخر، أرض الأرواح، لكن ليس بمعنى الجنة (م).

Twitter: @ketab_n

قال الطارق: «أنا، رسول من «جوين آب ند»، ملك آنون وملك الجان. جئت آمرك بالذهاب إليه للتحدث معه عند قمة التلة ظهراً».

إلا أن كولين لم يذهب. في اليوم التالي عاد الرسول نفسه وطلب من كولين الذهاب إلى الملك والتحدث معه عند قمة التلة ظهراً.

لكن كولين لم يذهب أيضاً. وفي اليوم الثالث عاد الرسول نفسه وطلب منه الذهاب إلى قمة التلة ظهراً للتحدث إلى الملك، متوعداً إياه قائلاً: «إن لم تذهب، يا كولين، فستكون قد جنيت على نفسك».

فتملك الخوف من كولين فنهض وجهز بعض الماء المقدس ووضعه في قارورة علقها على خصرِهِ وذهب إلى قمة التلة. وعندما وصل إلى هناك رأى أجمل قصر كان قد رآه في حياته، وقد أحيط بأحسن الجيوش تجهيزاً، وبأعداد غفيرة من المنشدين، وكل ما يخطر على بال من أصوات الموسيقى والعزف، وشاهد أجمل الفتيان يمتطون جياداً مطهمة، وفتيات بارعات الجمال خفيفات الحركة، يتهادين بملابس مزركشة وهن في ريعان الصبا، وبكل ما يمكن أن يحظى به ملك عظيم من استقبال، استقبله

Twitter: @ketab_n

عند قمة التلة رجل مهذب ، دعاه إلى الدخول قائلاً له إن الملك ينتظره في غرفة الطعام. فتوجه كولين نحو القصر وعندما دخل رأى الملك جالساً على عرش ذهبي. فرحّب بكولين كضيف شرف وطلب منه أن يشاركه الطعام، وأكد له أنه بالإضافة إلى ما رآه فإنه سيلقى أطيب معاملة وأفضل تكريم يمكن أن يتخيّله. وأنه سيقدم له كل ما يتمنى من أنواع الشراب. كذلك وَعَدَهُ بأروع آيات التكريم والضيافة والخدمة والرفاهية، وأنه ستقام له المآدب وتتوفر له أنواع التسلية والهدايا وكل ما يليق برجُلٍ حكيم.

فرد كولين عليه قائلاً: «لن أتناول الطعام». ثم سأله الملك: «هل سبق لك أن رأيت رجالاً أبهى من هؤلاء المرتدين الحلل الملونة بالأحمر والأزرق؟»، قال كولن: «إن حللهم رائعة بما فيه الكفاية، فهي جميلة حقاً». ثم قال: «ولكن ما نوع هذه الحلل؟ إذ إن لونها الأحمر يرمز إلى الحرارة، فيما يرمز اللون الأزرق إلى البرودة».

ولدى قوله هذا تناول زجاجة الماء المقدس، ونثرها فوق رؤوسهم، فاختفوا على الأثر عن أنظاره، فلم يعد هناك من قلعة، ولا جيوش، ولا رجال، ولا فتيات، ولا موسيقى، ولا أغانٍ، ولا خيول، ولا فتيان، ولا ولائم، ولا أيّ شيء مما كان، باستثناء ما كان من بقعة خضراء فقط.

Twitter: @ketab_n

غار هيليغ

منذ عصور عدة مضت كانت المنطقة الجميلة الخصبة الممتدة من «غوغارث» إلى «بانجور» ومن «ليانفاير فيتشان» إلى «يُنيس سيريول»[1] تحت سيطرة «هيليج آب جلاناتش» فكانت تسمّى «غار هليغ».

كان لهيليغ هذا ابنة جميلة اسمها «جوينداد»، تشبه «جوين ويفار»[2] زوجة آرثر «حين كانت تظهر في يوم الميلاد أو في عيد الفصح المجيد». لكنها كانت ذات قلب مفعم بالشر والقسوة والخداع، وحدث أن أحبها ابن أحد بارونات «سنودون»[3]، وقد بادلته هي الحب أيضاً بقدر ما يتسع له قلب جوينداد ابنة هيليغ، حتى غدت غير قادرة على حب أحد سواه. لكنها لم تتزوج منه لأنه لم يكن يملك قلادة ذهبية[4].

(1) جميع الأمكنة المذكورة هي أمكنة جغرافية حقيقية في ويلز فلا داعي لإثقال القارئ بتفصيل كلّ واحد منها (م).

(2) هي بحسب أسطور الملك آرثر زوجته وقد يعني اسمها بالويلزية «الشبح الأبيض» (م).

(3) أعلى جبال ويلز وبريطانيا ويقع إلى الجنوب من «مرتفعات اسكتلندا» (م).

(4) ربما المقصود هنا بالقلادة الذهبية وسام الشرف الذي يحصل عليه القائد في الحرب أو في أعمال الفروسية كما يتضح من سياق الحكاية (م).

Twitter: @ketab_n

فقد حاول تاثال (وهو اسم حبيبها هذا) التقرب منها أكثر إلا أنه فشل في ذلك وظلت مصرة على طلبها. وبما إن جويندا تمسكت بطلبها فقد قرر هو الحصول على القلادة ولو بطرق غير مشروعة. وفي الوقت نفسه كان رون ابن «مالجين جوينسير» قد قاد حملة إلى «سترات كلايد»، وبعد غزوات الحرق والذبح ضد الأعداء أحضر معه إلى «سيرزان» العديد من الأسرى الذين احتجزهم ليطالب بفدية لإطلاق سراحهم. وكان الأسير الأول الذي افتدى أقرباؤه حريته زعيماً شاباً وكان قد غنم قلادة ذهبية في الحرب ضد قبائل «الباكتس». فذهب تاثال إليه وعرض عليه خدماته كـ «مرشد». فرافقه مرة إلى بيريفدوالد وهناك عاجَلَهُ بطعنة، وسلبه قلادته الذهبية. وبعد عودته روى لهم أن مجموعة من اللصوص هاجمتهم وكان يتزعمها أحد الوجهاء الخارجين عن القانون، فقتله في نزال عادل، وغنم قلادته. حينها قبلت جويندا بالزواج منه، فأقام هيليغ احتفالاً عظيماً دعا إليه جميع أقاربه وأقارب العريس. ولإحياء ليلة الزفاف أستُدعي أحد عازفي القيثارة. وكان العازف يتمتع بموهبة الكشف والتنبؤ، فسأل النادل إن كان قد لاحظ شيئاً غير مألوف عندما ذهب إلى القبو ليحضر

Twitter: @ketab_n

الشراب. حين عاد النادل مرتعداً كان الليل لا يزال في أوله حيث قال للعازف: «رأيت نهراً من المياه التي تجري من تحت القبو، وفيه المئات من الأسماك الصغيرة».

قال العازف: «إذن فلننجُ بحياتنا». وهرب الاثنان إلى الجبال تحت جنح الظلام. وما كادا يخرجان من قاعة الاحتفال حتى سمعا هديراً مرعباً ينبئ بفيضان كبير، ثم سمعا صرخات رعب جمّدت الدماء في عروقهما. ونظرا خلفهما فشاهدا الأمواج القوية تتدافع باتجاههما، حتى بلغت المياه كعبيهما فركضا حتى كاد قلباهما ينفجران.

كاد الطوفان الجارف أن يغمرهما أكثر من مرة. وأخيراً وصلا إلى «ريجيفيلتش»، منهَكين مقطوعَيْ الأنفاس. وهناك شعرا أنهما أصبحا في مأمن من خطر الأمواج المتدافعة، وراحا ينتظران حتى طلوع الصباح. وعندما أشرقت الشمس وهدأت العاصفة وتراجعت المياه الهائجة وانقشع المكان كشفت عن مساحة واسعة عُرِفَت فيما بعد باسم «تجويف هيليغ». ومنذ ذلك الوقت لم تتوقف أمواج البحر قطّ عن حملاتها الهائجة حتى غمرت التجويف كله.

Twitter: @ketab_n

وذات يوم وفيما كان بعض الرجال من «كونواي» يصطادون في أيام يوليو وكانت المياه هادئة جداً رأوا آثار قصر هيليغ عميقاً تحت سطح المياه. لقد كان المشهد الذي رآه النادل فألاً سيئاً لأنه بعد ذلك كان كل من يرى الجدران والأبراج الغارقة يموت بعد وقت قصير.

Twitter: @ketab_n

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة

كلمة
KALIMA

هيئة أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

ISBN 978-9948-01-325-9

9 789948 013259